بين
العلامة نعمان الآلوسي البغدادي
والعلامة جمال الدين القاسمي الدمشقي

محمد بن ناصر العجمي
وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - الكويت

حصل بين العلامة الشيخ نعمان خير الدين الآلوسي البغدادي المتوفى سنة (١٣١٧هـ) (١) والعلامة الشيخ محمد جمال الدين القاسمي الدمشقي المتوفى سنة (١٣٣٢هـ) (٢) مُراسلات ودية وإجازات علمية هي عنوان على تلك الصلة الجليلة والرحم العلمية الأصيلة بينهما، كما يرى في هذه المراسلات من كمال الأدب والاحترام والتبجيل الشيء الكثير، وهي تصور لنا ما كان عليه علماء هذه الأمة من صفاء الود، واتحاد الآراء، ولو كانوا من بلدان شتى، وبيئات مختلفة فما أجمل هذه الرحم، وما أعظم هذا النهم والحرص على طلم العلم، كما يلاحظ على هذه الرسائل ما كان شائعًا في القرن الماضي من السجع والمحسنات البديعية .

رغب العلامة القاسمي من العلامة الآلوسي الإجازة في الحديث وعلى وجه الخصوص سنده في «الأربعين العجلونية» وسند والده محمود الآلوسي صاحب التفسير المشهور ، وسند الشيخ صديق حسن خان الهندي، فقدم لما أراد رسالة في غاية الأدب والإجلال وهذه الرسالة والإجازة كلاهما محفوظ في مكتبة حفيد الشيخ القاسمي محمد سعيد في دمشق . وهذا نص رسالة الشيخ جمال الدين القاسمي :

«حمدًا لمن أجاز من أحسن ظنه بفضله جوائز الإنعام، وصلاةً وسلامًا على من سَنَّ للأعلام، أن يُبلغوا عنه هديه للأنام، ليفوزوا باقتطاف ثمرات دار السلام، وعلى آله وصحبه الكرام، ما اقتبس من سنا عوالي الأسانيد هُمام .

أما بعد : فالمبلِّغ من العبد الضعيف، إلى السيد الشريف، محط رحال الأفاضل، مدار الرِّجال الأماثل، بحر العوارف، وشمس سماء المعارف، سيدي السيد نُعمان أفندي الآلوسي، لازال كامل العرفان بالفتح القدوسي، مزينة بوجوده معالم الفضائل، مجملة بتصانيفه رياض المسائل ، تحيات حسنى، تليق بالمقام الأسنى، وأشواق وافرة، لمشاهدة الأنوار الزاهرة، وسؤال عن المزاج الكريم، والبال العالي، والقلب السليم، أدام المولى اعتداله، وحرس الوجود كماله، ثُمَّ إني وإن لم يسمح الزمان بحضور جنابكم، والطواف بحرم رحابكم، ولكن لم تزل تجلى عليَّ مآثركم السامية ، ودرر مواعظكم الغالية، التي هي جلاء العينين، وضياء الخافقين، وقد رام الفقير أن يكون له من المولى إجازة، تصحح له من اقتباس ما لمولاه من المرويّات مجازه، لتكون أسانيد العراق لبنة التمام، لما للحقير من أسانيد مشايخه الأعلام ؛ فإن الحق امتن على الفقير بأخذه عن العلامة النحرير، محمود أفندي الحمزاوي مفتي الشام، ومن في طبقته من المشاهير العظام . وقد كان الحقير اجتمع بالشبل النبيل، ذي الفضل الجليل ، السيد علاء الدين أفندي (٣) ببعلبك عام تشريفه نائبًا لها، وكان الفقير معينًا عامئذ مُدرسًا للقضاء المذكور من قبل ولايتنا الجليلة، وكنت تذاكرت معه في اقتباس إجازة من سيدنا المنوه بقدره، أعلى المولى شريف ذكره، وقد عنَّ للفقير من مدة وضع شرح "الأربعين العجلونية" التي خَرَّجها مؤلفها من أربعين كتابًا من كتب الحديث . ومرادي أن أخرجها إن تيسر عن أربعين شيخًا إمَّا بالسَّماع أو الإجازة مشافهة أو مكاتبة على طريقة متأخري المُحدثين تشبهًا بهم، وإحياء لمنهجهم فأرجو من مولاي أن يتكرم بالإجازة للفقير، ويتفضل بذكر سند والده المرحوم قَدس المولى

سره، وكذا يتعطف بسنده إلى الإمام البخاري من طريق ملك بهوبال فيتم المرام، بمسلسل هذا النظام، أدام المولى لسيدي الارتقا، ومن علينا بحسن المُلتقى»

وهذا نص إجابة وإجازة العلامة نعمان الألوسي :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام الأتمان على سيدنا ومولانا ونبينا محمد وآله الطيبين، وصحابته الصَّادقين، ومن تبعهم بإحسان من المسلمين، ماقُرأ مسلسل وعزيز، وأخذ مُجاز عن مجيز .

أما بعد :

فقد استجازني من دمشق الشَّام، معدن الأئمة الأعلام، أخي في الله العالم الفاضل، والبدر الكامل، محمد جمال الدين أفندي، ابن الشيخ محمد سعيد أفندي القاسمي الشامي إمام السِّنانية [٤]، وفقنا الله تعالى وإياهم للمنح الربانية ، فأجبته وإن لم أكن أهلاً لما طلب، وأسرعت بتحرير ما أحب، فأقول : إني قد أجزته بتاليفاتي، وأذنت لجنابه أن يروي عني مصنفاتي، وهي : «الجواب الفسيح في رد مالفقه الكندي عبدالمسيح»، وقد طبع في لاهور، و «غالية المواعظ»، وقد طبع في بولاق مصر، و «جلاء العينين»، وقد طبع فيها أيضاً، و «الأجوبة العقلية، عن الأسئلة النصرانية»، وقد طبع في بمبي، وكتاب «الآيات البينات»، وكتاب «الحبايا في الوصايا»، وكتاب «الأجوبة النعمانية، عن الأسئلة الهندية» ، وأجزته بتفسير والدي المبرور المسمى بـ «روح المعاني» ، وقد طبع في بولاق مصر، وسائر تاليفاته، وأجزته بكتب التفسير المشهورة وكتب الأحاديث المأثورة ، وكتب فقه الأئمة الأربعة المنقولة ، وبالعلوم العربية وكتبها المعروفة، وبتاليفات ملك بهوبال العالم الشهير صديق خان، عليه رحمة الملك المنان، وبما حواه ثبته المطبوع في هندستان، المسمى «سلسلة العسجد» ، وبكتب السادة الصوفية ، نفعنا الله تعالى بعلومهم اللدنية ، كما أجازني بذلك العلماء، والأساتذة الفضلاء، منهم : والدي المرحوم السيد محمود أفندي شهاب الدين مفتي العراق، ابن السيد عبدالله أفندي صلاح الدين ، ومنهم علامة الشام ومفتيها السيد محمود أفندي آل حمزة ، ومنهم الشيخ عبدالغني الميداني الدمشقي شارح كتاب القدوري، ومنهم الشيخ حسين بن محسن الأنصاري اليمني، ومنهم صديق حسن تلميذه، ومنهم ولي الله تعالى الشيخ كاكه أحمد البرزنجي السليماني الكردي العلوي ، ومنهم الشيخ حسين أفندي البشدري الكردي المدرس بمدرسة إمامنا الأعظم ، أبي حنيفة المجتهد الأقدم .

وممن أجاز والدي المبرور شيخه علاء الدين الشيخ علي أفندي الموصلي، والشيخ علي أفندي السويدي البغدادي ابن الشيخ محمد سعيد، وممن أجاز الشيخ علي المذكور السيد محمد مرتضى أبو الفيض الزَّبيدي، وممن أجاز والدي : شيخ الإسلام عارف حكمت بك صاحب الكتب الموقوفة في المدينة المنورة على مشرفها الصلاة والسلام، ومنهم محدث الشام الشيخ عبدالرحمن الكزبري، ومنهم الشيخ يحيى المنوري العمادي، ومنهم الشيخ عبداللطيف مفتي بيروت .

ومن مشايخي الذين أخذت عنهم علم فقه الأئمة الحنفية الملا عبدالرزاق بن محمد أمين البغدادي، وهو أخذه عن العلامة السيد محمد أمين عابدين الدمشقي صاحب «الحاشية على الدر المختار»، الشهيرة في سائر الأقطار، وعن الشيخ سعيد الحلبي الدمشقي، ومن مشايخي ذو الجناحين الشيخ عيسى صفاء الدين البندنيجي وهو أخذ عن عالم الوزراء، وزير الزّوراء، داود باشا شيخ الحرم النبوي المتوفى فيه، وداود باشا المذكور أخذ عن جملة من الأفاضل أسماؤهم محررة في تاريخ الشيخ عثمان بن سند [٥] .

ولنذكر بعضاً من أسانيد والدي المبرور ضوعفت له ولنا الأجور، فمنها : إجازته بالأربعين النووية، فقد أجازه بها شيخه علاء الدين علي أفندي بن صلاح الدين يوسف أفندي الموصلي بن رمضان، عن السيد يحيى الحلبي المشهور بالمسالخي، عن الشيخ عبدالرحمن الكزبري، عن الشيخ عبدالغني النابلسي عن "النجم الغزي" عن والده



صورة الرسالة الأولى من الشيخ جمال الدين القاسمي بخطه إلى العلامة الألوسي



واجزت المجاز جمال الدين افندى المومى اليه بثبت العماد
الشيخ اسمعيل العجلوني عن والدى المبرور عن
الشيخ عبد اللطيف بن فتح الله مفتي بيروت فانه
يرويه عن الشهاب العطار والشيخ خليل الكاملي
والشمس محمد بن الشيخ حسن ابى النصر الطرابلسي
المولد والوطن البيروتي الاصل عن مؤلفه. واجزته
بثبت الشهاب بن حجر وبمافي ثبت الكوراني وبماني
ثبت النجم الغزي، وثبت العارف العجيمي وثبت محمد بن
سليمان المغربي وثبت ابن سالم البصري وثبت
الشمس محمد عقيلة، وثبت البرهان اللقاني
صاحب الجوهرة، وثبت الشيخ عبد الله السويدي
البغدادي، وكل ذلك عن والدى عن الشيخ عبد
الرحمن الكزبري عن مشايخه وعن سائر مشايخي
ومشايخهم المحررة اسماؤهم في اثباتهم كثبت والدي
وثبت الكزبري وثبت العطار وثبت النواب ملك
بهوپال صديق خان ابن حسن المتصل سنده بعلماء
اليمن المسمى بسلسلة العسجد مما يطول الكلام بذكرهم

وقد اجزت المومى اليه محمد جمال الدين افندى اجازة عامة
بجميع ما يجوز لي روايته بالشروط المعتبرة عند اهل
الاثر وارجوه ان لا ينساني واولادي واحفادي
من صالح دعواته في خلواته وجلواته وعقب درسه
وورده وصلواته، وان يدعو لي بحسن العاقبة والعافية
في الدنيا والاخرة والتثبت على الايمان الكامل
والستر الجميل في الدارين وبالعفو من الملك الكريم
وبالوفاة على الايمان والاسلام وبحسن الخاتمة
وان يجيرني سبحانه من شر الاعداء والحساد ومن
شر نفسي وهواي والشيطان الرجيم، ويوجب لي احسانه
وافضاله القديم، وينيلني بعد وفاتي النعيم المقيم
العظيم انه جل شأنه رؤوف رحيم، واوصي المجاز باتباع
مذهب السلف فانه اسلم بل اعلم واحكم، والسلوك
في طريقتهم الاقوم، والحمد لله رب العالمين وصلواته وسلامه
على سيدنا وشفيعنا محمد الرسول الامين وآله وصحبه اجمعين.
كتبه بيده العبد نعمان خير الدين بن السيد محمود شهاب الدين الحسيني
المعروف بالآلوسي زاده البغدادي سنة ١٣١٥ ١٧ د
غفر له آمين

صورة الورقة الأخيرة من إجازة العلامة نعمان الألوسي وهي بخطه مختومة بختمه

البدر الغزي، عن البرهان زين الدين القباني، عن ابن الخباز عن المؤلف الشيخ أبي زكريا يحيى بن شرف الدين النواوي عليه الرحمة .

ومن ذلك إجازته بـ «صحيح الإمام محمد بن إسماعيل البخاري» ، عليه رحمة الملك الباري، عن شيخه علاء الدين علي أفندي عن والده صلاح الدين يوسف أفندي، عن جرجيس أفندي بن محمد الأربيلي قال : أخبرنا شيخنا المحدث علي بن عمر الخلوتي القناوي قال : أخبرنا عبدالخالق بن أبي بكر المزجاجي ، وشيخنا محمد بن علاء الدين المزجاجي، وكلاهما عن شيخهما أبي طاهر محمد ابن إبراهيم بن حسن الكردي، قال : أخبرنا به شيخنا الشيخ إبراهيم بن حسن الكوراني الكردي ، قال : أخبرنا به العبد المعمر الصوفي عبدالله ابن الملاسعد الله اللاهوري، عن الشيخ قطب الدين محمد بن أحمد النهرواني، عن والده علاء الدين أحمد النهرواني، عن الحافظ نور الدين أبي الفتوح أحمد بن عبدالله ابن أبي الفتوح الطاووسي، عن الشيخ بابا يوسف المشهور بسيصد ساله، عن الشيخ المعمر محمد ابن شاد بخت الفرغاني، عن الشيخ المعمر أبي لقمان يحيى بن عمار بن مقبل بن شاهان الختلاني بسماعه على الفربري، عن مؤلفه الإمام البخاري .

وأجازه به أيضًا محدث المدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام المفتي فيها زين العابدين بن السيد علوي جمل الليل ، عن محمد بن عبدالله المغربي المدني، عن شيخه عبدالله بن سالم البصري المكي، عن الملا إبراهيم الكوراني بسنده المذكور في كتابه المسمى "بالأمم لإيقاظ الهمم"، وأجزت المجاز جمال الدين أفندي المومئ إليه بثبت العماد إسماعيل العجلوني عن والدي المبرور عن الشيخ عبداللطيف بن فتح الله مفتي بيروت، فإنه يرويه عن الشهاب العطار، والشيخ خليل الكاملي، والشمس محمد ابن الشيخ حسن أبي النصر الطرابلسي المولد والوطن البيروتي الأصل عن مؤلفه .

وأجزته بثبت الشهاب ابن حجر، وبما في "ثبت الكوراني" وبما في "ثبت النجم الغزي"، و "ثبت العارف العجيمي"، و "ثبت محمد بن سليمان المغربي" ، و "ثبت ابن سالم البصري" و "ثبت الشمس محمد عقيلة"، و "ثبت البرهان اللقاني" صاحب "الجوهرة" وثبت الشيخ عبدالله السويدي البغدادي" وكل ذلك عن والدي، عن الشيخ عبدالرحمن الكزبري، عن مشايخه وعن سائر مشايخي ومشايخهم المحررة أسماؤهم في أثباتهم كتب والدي، "وثبت الكزبري"، و "ثبت العطار"، و "ثبت النواب ملك بهوبال صديق خان بن حسن المتوصل سنده بعلماء اليمن المسمى «بسلسلة العسجد» مما يطول الكلام بذكرهم .

وقد أجزت المومئ إليه محمد جمال الدين أفندي إجازة عامة بجميع ما تجوز لي روايته بالشروط المعتبرة عند أهل الأثر وأرجوه أن لاينساني وأولادي وأحفادي من صالح دعواته في خلواته وجلواته، وعقد درسه وورده وصلواته، وأن يدعو لي بحسن العاقبة والعافية في الدنيا والآخرة والتثبت على الإيمان الكامل، والستر الجميل في الدارين وبالعفو من الملك الكريم وبالوفاة على الإيمان والإسلام، وبحسن الخاتمة، وأن يجيرني سبحانه من شر الأعداء والحُساد ومن شر نفسي وهواي والشيطان الرجيم، ويمن لي بإحسانه وإفضاله القديم وينيلني بعد وفاتي النعيم المقيم العظيم، إنه جل شأنه رؤوف رحيم .

وأوصي المجاز باتباع مذهب السلف ؛ فإنه أسلم بل أعلم وأحكم والسلوك في طريقهم الأقوم والحمد لله رب العالمين، وصلاته وسلامه على سيدنا وشفيعنا محمد الرسول الأمين وآله وصحبه أجمعين .

كتبه بقلمه العبد نعمان خير الدين بن السيد محمود شهاب الدين الحسيني المعروف بآلوسي زاده البغدادي غُفر له آمين في ١٧ ذي الحجة سنة ١٣١٥هـ .

ولما وصلت إجازة العلامة الآلوسي، أرسل العلامة القاسمي شاكرًا له حُسن جوابه وإجازته فقال: «المقام الجليل آثاره، الجميل أنواره ، من مقام فاضت بحور علومه، وتجملت الطروس بمنثوره ومنظومه، المشكور فضله بلسان الإجماع، المتلو مجده في سائر

البقاع، عزيز المناقب والمفاخر، وارث العلم كابرًا عن كابر، المُتسنم ذروة المحامد العليا، سيدي ومولاي خير الدين والدُّنيا، أدام المولى سعوده، وحرس وجوده، وأسعده بهذا العام سعادة توفر من الخير أقسامه، وتقصر على النُّعمى أيامه، ولازال يودع عامًا ويستقبل عامًا، ويولي راجيه فضلاً وإنعامًا، ما سطعت الأهلة بلياليها، ولمعت السَّعادة بتجليها، آمين.

وبعد تقبيل يديه، وإهداء عواطر التحايا إليه، وتقديم ما يجب من الإجلال والتعظيم على المحسوب عليه، يعرض الفقير أنه رهين اللوعة الصادقة، والأشواق القلبية الفائقة، لاستطلاع أنواره، واستمالة إكسير أنظاره، سائلاً عن المزاج الشريف أدام تعالى صفاءه واعتداله، ومخلصًا الدعاء للجناب المُنيف، حرس المولى بهاءه وكماله، وقد وافى الحقير الإجازة العلية، بل المنة السابغة السنية، شرف المولى بها قدر محسوبه، وجبر خاطره بإسعافه بمرغوبه، فلا أبرح مُعْترفًا بإحسانه، شاكرًا لامتنانه، فجزاه المولى خير الجزاء في الدنيا ويوم الجزاء.

مولاي اتفق حين تشريف الكتاب للأوطان، أن كُنَّا في دعوة حافلة ضمت عددًا من المشايخ الأعيان فنوهت بشأن الإجازة الباهرة، وناولتها لبعضهم فتلاً عقود دررها الزاهرة، فتهللت لها وجوه المحبين، وأرغمنا بها الحسدة الأغبياء المعاصرين، ولله المشتكى من جماعة نبذوا الآثار ظهريًا، وأضحى مذهب السلف بينهم نسيًا منسيًا، خلا جماعة من أحبابنا الصادقين، فإنهم في مشربهم السلفي عِقْد الشام الثمين، وقد نالتنا وإياهم محنة سلفت من نحو ثلاثة أعوام [6]، وربما بلغت المسامع العلية حيث كان لها نبأ انتشر في تلك الأيام، فوقانا المولى بفضله شرها، وانتقم الحق تعالى بعدها ممن أراد لجماعتنا ضرها.

هذا؛ وإني والله لأود أن يتيسر لي الورود لرحاب المولى، لأقتطف من ثمار معارفه ما هو الأحق والأولى، ولكن من أين لمن أثقلته عياله، أن تنجح في مثل هذه الأيام آماله، فعسى أن نحظى ببلوغ الأماني، وتسفر لنا ببركة دعاء سيدي وجوه التَّهاني، فالدعاء بظهر الغيب مُستجاب، وهو المأمول من المولى لمحسوب الجناب، أدام الله تعالى لسيدي المكارم الشَّاملة، والمواهب الكاملة.

في ٥ محرم المبارك سنة ١٣١٦هـ.

الهوامش والمراجع

(١) من مصادر ترجمة الشيخ نعمان الآلوسي:

- الدر المنتشر في رجال القرن الثاني عشر والثالث عشر لابنه علاء الدين الآلوسي (ص ص ٣٤ - ٣٧)، ط. وزارة الثقافة والإرشاد ببغداد.
- المسك الأذخر في نشر مزايا القرن الثاني عشر والثالث عشر لمحمود شكري الآلوسي (ص ص ١١٠ - ١١٦)، ط. دار العلوم بالرياض.
- أعلام العراق لمحمد بهجة الأثري (ص ص ٥٧ - ٦٨)، ط. المطبعة السلفية بالقاهرة.

(٢) من مصادر ترجمة الشيخ جمال الدين القاسمي:

- حلية البشر لعبدالرزاق البيطار (٤٣٥/١)، ط. مجمع اللغة العربية بدمشق.
- منتخبات التواريخ للحصني (٧١٦/٢)، ط. دار الآفاق الجديدة ببيروت.
- جمال الدين القاسمي وعصره لابنه نقيب المحامين ظافر القاسمي، ط. مكتبة أطلس دمشق.

(٣) هو الشيخ علي علاء الدين بن الشيخ نعمان الآلوسي توفي سنة (١٣٤٠هـ) انظر ترجمته في: تاريخ علماء بغداد في القرن الرابع عشر ليونس السامرائي (ص٥٠٣)، ط. وزارة الأوقاف العراقية.

(٤) جامع السنانية بدمشق هو الجامع الذي أمَّ فيه جد القاسمي ووالده الشيخ محمد سعيد القاسمي كما أم فيه من بعدهما الشيخ جمال الدين القاسمي.

(٥) انظر: مطالع السعود بطيب أخبار الوالي داود لعثمان بن سند (ص ص ٣٧٨ - ٤٠٦)، ط. وزارة الثقافة والإعلام ببغداد.

(٦) أفاض في ذكر هذه الحادثة المسماة بحادثة المجتهدين ظافر القاسمي في كتابه عن والده (ص٤٣).

الإنتاج الفكري لأعضاء هيئة التدريس السعوديين بجامعة أم القرى

(دراسة تحليلية ببليومترية)

عبداللطيف بن عبدالحكيم
سمرقندي
جامعة أم القرى – مكة المكرمة

جامعة أم القرى . وكالة الجامعة للدراسات والبحث العلمي – المجلس العلمي / دليل أعضاء هيئة التدريس السعوديين ونتاجهم العلمي . – مكة المكرمة : جامعة أم القرى ، ١٤١٦هـ ، ٧١٩ ص.

مقدمة : إن نظرة عاجلة إلى بداية التعليم العالي (ما بعد المرحلة الثانوية) نجد أنّ كلية الشريعة بمكة المكرمة بدأت كأول كلية جامعية أنشئت في مهبط الوحي ، حيث بدأت الدراسة بها عام ١٣٦٩هـ الموافق ١٩٤٩م ، وذلك بهدف «إعداد الدارس ليكون عالمًا ومثقفًا ثقافة عالية حتى يسهم في سد حاجة المملكة في المجالات القضائية والتعليمية والإدارية» (١) .

ثم أنشئ أول معهد عالٍ للمعلمين في العاصمة المقدسة باسم كلية المعلمين عام ١٣٧٢هـ ، وكان الهدف من إنشائه «تخريج نخبة من المعلمين يعملون على تدعيم الدراسة المتوسطة والثانوية» (٢) .

مع وجود كليتيْ الشريعة والمعلمين والحاجة إلى إعداد المعلم علمياً وثقافياً ومهنياً قرر أن يحول الصرحين العلميين ، إلى كلية الشريعة والتربية ، وكان ذلك عام ٨١ – ١٣٨٢هـ (٣) . وبعد عام واحد على ما سبق تم فصل كلية التربية (٨٢–١٣٨٣هـ) وأصبحت في مكة المكرمة كلية للشريعة وكلية للتربية ، وتم تغيير مسمى كلية الشريعة إلى كلية الشريعة والدراسات الإسلامية في العام ١٣٨٤هـ .

وفي عام ١٣٨٥هـ انضم قسم اللغة العربية إلى كلية الشريعة ، وأصبحت هي المؤسسة العلمية الأولى التي تضم برنامجًا للدراسات العليا (ماجستير فقط) .

السرعة الزمنية من تاريخ التأسيس إلى التوسع التخصصي : شمل ذلك إنشاء قسم الدراسات العليا عام ١٣٨٨ – ١٣٨٩هـ كأول بذرة للدراسات العليا .

تم ذلك بعد دراسات مكثفة لمدة طويلة وخطا نحو الدراسات العليا بعد مرحلة الابتعاث الخارجي نظرًا لعدم وجود دراسات عليا في المملكة .

وتوضح إحدى قوائم الابتعاث الخارجي أن بدايته كانت بتاريخ ١٣٨٦/٦/٢٤هـ (٤) .

أما تاريخ ٢٠ رمضان من العام الدراسي ١٣٩٣–١٣٩٤هـ فيحمل في طياته افتتاح فرع آخر للدراسات العليا وهي الدراسات العليا العربية .

وتباعًا بدأت الدراسات العليا تسير جنبًا إلى جنب مع الابتعاث الخارجي، فهذه كليات الجامعة تبدأ بالدراسات العليا في تخصصاتها المختلفة بعد وصول أفواج المبتعثين من خارج البلاد، والتعاقد مع الخبرات العلمية المؤهلة من بعض البلاد العربية .. فمثلاً أقسام الدراسات العليا في كلية التربية هي : قسم التربية الإسلامية والمقارنة ، علم النفس التربوي ، المناهج وطرق التدريس ، الإدارة التربوية والتخطيط ، التربية الفنية .

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بالإضافة إلى مركز الدراسات العليا فهناك قسم الشريعة والدراسات الإسلامية، والتاريخ الإسلامي، والحضارة والنظم الإسلامية.

كلية الدعوة وأصول الدين فيها قسم الكتاب والسنة، قسم العقيدة – كلية اللغة العربية، شعبة اللغة العربية، شعبة الأدب والبلاغة، الدراسات اللغوية التطبيقية، أما كلية العلوم الاجتماعية ففيها قسم اللغة الإنجليزية ، قسم الجغرافيا ببعض فروعها المختلفة .. ومع زيادة المبتعثين والدراسات العليا داخل البلاد نجم عنه شريحة تعليمية على المستوى

الأعلى من التعليم العام وهو ما يسمى بالتعليم العالي .

والنظرة العامة لهذه الشريحة بنيل الدرجة هو منتهى الطموح والواقع ، إن نيل الدرجة العليا هي بداية الرسالة العليا الجامعية من كتابة البحوث وحضور المؤتمرات والندوات وتأليف الكتب وترجمتها، والوصول إلى مستوى المبتكر في مجال العلوم والهندسة والطب ، وصاحب النظريات على المستوى العلمي الأدبي والاجتماعي والإنساني .

كان حظ جامعة أم القرى كبيراً بإصدار أول دليل لأعضاء هيئة التدريس السعوديين ونتاجهم العلمي ، صور كما ذكر في مقدمته أنه «يمثل أحد مجالات المنافسة العلمية الجادة والتحمس للعطاء العلمي والإنتاجية الفردية والجماعية في مجالات البحث العلمي» (٥) .

وحمل هذا الدليل في الجزء الأول معلومات عن كل عضو من حيث الاسم والعمل الحالي ، المرتبة العلمية ، الكلية ، القسم ، تاريخ التخرج ، التخصص العام ، التخصص الدقيق ، بالإضافة إلى اسم الجامعة المتخرج منها وذلك باللغة العربية واللغة الإنجليزية .

أما الجزء الثاني فكان عن الإنتاج العلمي للعضو من حيث الكتب المطبوعة ، الأبحاث المنشورة ، الكتب والأبحاث تحت الطبع .

استهل الدليل بمقدمة مختصرة من وكيل الجامعة للدراسات العليا والبحث العلمي، ومن ثم كيفية ترتيب الدليل.

حيث كان الترتيب العام لأعضاء هيئة التدريس داخل الدليل حسب الكلية ، ومن ثم حسب القسم مثلاً :

* كلية الشريعة والدراسات الإسلامية :
- قسم الشريعة .
- قسم القضاء .
- قسم الدراسات الشرعية .. وهكذا .

وجاء ترتيب الكليات كالتالي :

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، كلية الدعوة وأصول الدين ، كلية اللغة العربية ، كلية التربية (مكة المكرمة) ، كلية العلوم التطبيقية ، كلية التربية (الطائف) ، كلية الهندسة والعمارة الإسلامية ، كلية العلوم الاجتماعية وأخيراً معهد اللغة العربية .

خطوة قوية وعمل يعدّ الأول من نوعه على مستوى المملكة إن لم يكن على مستوى العالم العربي .

لكن لابد من وجود دراسة لمثل هذا العمل ليس لمدحه أو الثناء عليه ولا لحسن الترتيب وجمال الصور ، وقلة العدد أو زيادة العدد لأعضاء هيئة التدريس وإنما في الواقع للإنتاج الفكري لأعضاء هيئة التدريس السعوديين بالجامعة عامة .

من هنا بدأ الباحث بدراسة تحليلية ببليومترية للدليل أولاً كل قسم ، ومن ثم الكلية وأخيراً النظرة العلمية العامة لمستوى وكمية الإنتاج الفكري .

وتنحصر الدراسة في المحاور التالية :

١ – المحور العددي .
٢ – محور سنوات التخرج (الزمني) .
٣ – المحور النوعي (الجنس) .
٤ – محور مكان التخرج .
٥ – محور الدرجة العلمية .
٦ – محور الإنتاج الفكري .

١ – المحور العددي :

وصل عدد أعضاء الهيئة التدريسية للسعوديين الذين غطاهم الدليل إلى (٣٤٠) عضواً (الجدول رقم ١) موزعين على سنوات مختلفة من التخرج .

فعدد أعضاء هيئة التدريس بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية (الجدول رقم ٢) كان (٦٥ عضواً) ، احتل قسم الشريعة المرتبة الأولى (٢٠ عضواً) تبعه قسم التاريخ الإسلامي (١١ عضواً) والحضارة (١٠ أعضاء) ثم الاقتصاد الإسلامي (٩ أعضاء) والقضاء (٨ أعضاء) أما أقل الأقسام عدداً فهو قسم الدراسات العليا في التاريخ ، وهذا طبيعي حتى أنّ عددهم مجرد ترفيع لهم لتدريس الدراسات العليا وهم أصلاً من الأقسام الأخرى ، أما زيادة العدد في قسم الشريعة فيعتقد الباحث أنّ مرد ذلك لكونه من أقدم أقسام الجامعة ، وتم تأسيسه عام ١٣٦٩هـ مع نشأة الكلية . أما الجدول رقم (٣) فهو خاص بكلية الدعوة وأصول الدين ، حيث نجد أن المجموع (٣٨ عضواً) ولأربعة أقسام (الكتاب والسنة ، العقيدة ، الدعوة والثقافة الإسلامية ، الإعلام) واحتل المرتبة الأولى قسم الكتاب والسنة بـ (٢٣ عضواً) والمرتبة الثانية قسم العقيدة بـ (١٠ أعضاء) (القسمان في الأصل تفرعا من كلية الشريعة

والدراسات الإسلامية) أما أقل الأقسام أعضاء فهما قسما الدعوة والثقافة الإسلامية والإعلام (٣ و٢) على الترتيب .

ويوضح الجدول رقم (٤) عدد الأعضاء في الأقسام الثلاثة لكلية اللغة العربية، حيث وصل العدد إلى (٣٩ عضواً) مع احتلال قسم اللغة والنحو والصرف المرتبة الأولى بـ(١٩ عضواً) والأدب بـ (١١ عضواً) والبلاغة بـ(٩ أعضاء) .. اعتقد أنّ هذه الأعداد قليلة مقارنة بتاريخ إنشاء الكلية ، حيث إنها من الكليات القديمة التأسيس وكانت في الأصل ضمن كلية الشريعة تحت اسم كلية الشريعة واللغة العربية.

كما يوضح الجدول رقم (٥) الخاص بكلية التربية وهي أيضًا من الأقسام القديمة التأسيس ، حيث تعود للعام ١٣٧٢هـ كلية المعلمين ، كلية الشريعة والتربية عام ١٣٨٢هـ أما في عام١٣٨٣هـ فأصبحت كلية التربية مستقلة .

وصل العدد الإجمالي إلى ٥٩ عضواً، ونجد أنّ أعداد الهيئة التدريسية قريبة تقريبًا من بعضها، حيث بلغ عدد الأعضاء في قسم علم النفس (١٥) عضواً ثم قسم المناهج وطرق التدريس (١٤) عضواً ، الإدارة التربوية (١٣) عضواً، التربية الإسلامية (١٠) أعضاء، أما أقل نسبة وهي في التربية الرياضية (٤) أعضاء ، ثم التربية الفنية (٢) أعضاء لأنهما من أحدث الأقسام بالكلية ، حيث تأسسا عام ١٣٩٦هـ .

أما كلية العلوم التطبيقية بأقسامها الخمسة حتى العام الدراسي ١٤١٧هـ حيث انتقل منها قسم العلوم الطبية إلى كلية الطب والعلوم الطبية، فقد وصل العدد إلى (٥٣ عضواً) موزعين حسب الترتيب الإجمالي قسم الأحياء (١٥) عضواً ، قسم الكيمياء (١٤) عضواً ، قسم العلوم الرياضية (١١) عضواً ، قسم الفيزياء (١٠) أعضاء ، وأقلهاوأحدثهاقسم العلوم الطبية (٣ أعضاء) .. ولا يخفى على القارئ أن بعض أقسام كلية العلوم التي تعدّ اللبنة الأساسية بهذه الكلية كانت في الأصل تحت مظلة كلية التربية ، ومن ثم استقلت وعرفت باسم كلية العلوم ، ومن هذه الأقسام الرياضيات والفيزياء .

أما كلية التربية بالطائف، وهي في الأصل متفرعة من أقسام الكليات في مكة المكرمة ، فعدد أقسامها (٥ أقسام) أربعة منها تقدم درجة البكالوريوس والخامس قسم يقدم المواد التربوية للأقسام السابقة الذكر ، والأقسام هي : الدراسات الإسلامية (٤) أعضاء ، اللغة العربية (٣) أعضاء، اللغات الأجنبية (٢) عضوان ، والأحياء (١) عضو واحد، أما العلوم التربوية (٨) أعضاء ؛ ويعتقد الباحث أنّ مجموع عدد الأعضاء (١٨) عضواً قليل جداً بما تقدمه هذه الكلية لشريحة كبيرة من الطلاب مثل مدينة الطائف وضواحيها حيث محافظة الطائف من أكبر المناطق التعليمية بالملكة .

أما كلية الهندس والعمارة الإسلامية فهي من الكليات الحديثة، فقد تأسست عام ١٤٠٢هـ لتضم بين جنباتها أربعة أقسام متخصصة بلغ مجموع الأعضاء بها (٢١ عضواً) احتل قسما العمارة الإسلامية والهندسة المدنية المرتبة الأولى (٧ أعضاء) لكل منهما ، أما الهندسة الكهربائية (٤ أعضاء) والهندسة الميكانيكية والحاسبات (٣ أعضاء) .

كلية العلوم الاجتماعية تأسست حديثًا عام ١٤٠٦هـ وانضمت إليها أقسام من كلية التربية (الجغرافيا، اللغة الإنجليزية) إضافة إلى أقسامها الحديثة المكتبات والمعلومات، والخدمة الاجتماعية ، بلغ عدد الأعضاء فيها (٣٦ عضواً) احتل قسما اللغة الإنجليزية والجغرافيا المراتب الأولى بالترتيب (١٦ و١٤) أما أحدث قسمين فيها فعدد الأعضاء (٣ و٣) وهذا أيضاً طبيعي لحداثة القسمين وعراقة القسمين الأولين .

معهد اللغة العربية لغير الناطقين بها مجموع أعضائه (١٠) في قسميه الوحيدين تعليم اللغة العربية ، التخصص اللغوي والتربوي .

وبهذا يكون المجموع الكلي لأعضاء هيئة التدريس السعوديين بالجامعة (٣٤٠ عضواً) موزعين توزيعاً منطقياً حسب التأسيس تقريباً ؛ فاحتلال كلية الشريعة المرتبة الأولى عددياً (٦٥ عضواً) بنسبة ١٩,١٢٪ والمرتبة الثانية كلية التربية (٥٩ عضواً) بنسبة ١٧,٣٥٪ ، كلية العلوم التطبيقية في المرتبة الثالثة بعدد (٥٣ عضواً) بنسبة ١٥,٥٩٪، كلية اللغة العربية (٤٠ عضواً) بنسبة ١١,٧٦٪، كلية الدعوة وأصول الدين (٣٨ عضواً) بنسبة ١١,٧٪ ، وبنسبة ١٠,٥٨٪ وعدد (٣٦ عضواً) احتلت كلية العلوم الاجتماعية الخامسة، وكلية الهندسة والعمارة الإسلامية المرتبة السادسة بعدد (٢١ عضواً) ونسبة ٦,١٧٪ ، والمرتبة السابعة كلية التربية بالطائف (١٨ عضواً) بنسبة ٥,٢٩٪، وأخيراً معهد اللغة

العربية (١٠ أعضاء) وما نسبته ٢,٩٤٪.

فالترتيب حسب التأسيس والإنشاء ما عدا الهندسة والعلوم الاجتماعية، حيث العلوم الاجتماعية سبقت العدد للهندسة ولكن كلية العلوم الاجتماعية هي في الواقع كما ذكرنا سابقًا كانت أقسام مؤسسة في كلية التربية وانفصلت وأصبحت تحت مسمى كلية مع إنشاء قسمي المكتبات والمعلومات والخدمة الاجتماعية .

ومن الجدول رقم (١) نجد أنّ من عام ١٤٠٠ إلى ١٤١٥هـ كان عدد المتخرجين جمّاً حتى بلغ عددهم (٣٠ خريجًا) خلال كلٍّ من عامَيْ ١٤٠٩هـ و ١٤١٠هـ؛ والأعوام السابقة لعام ١٤٠٠هـ كانت أعداد المتخرجين قليلة جداً .

الجدول رقم (١)

العام	العدد	العام	العدد
١٣٨٥هـ	١	١٤٠٣هـ	١١
١٣٨٨هـ	١	١٤٠٤هـ	١٥
١٣٨٩هـ	٢	١٤٠٥هـ	٢٠
١٣٩٠هـ	١	١٤٠٦هـ	٢٠
١٣٩١هـ	٣	١٤٠٧هـ	٢٠
١٣٩٢هـ	١	١٤٠٨هـ	١٩
١٣٩٣هـ	١	١٤٠٩هـ	٣٠
١٣٩٤هـ	١	١٤١٠هـ	٣٠
١٣٩٥هـ	٣	١٤١١هـ	١٩
١٣٩٦هـ	٥	١٤١٢هـ	٢٤
١٣٩٧هـ	٢	١٤١٣هـ	١٧
١٣٩٨هـ	٣	١٤١٤هـ	١٢
١٣٩٩هـ	٥	١٤١٥هـ	١٣
١٤٠٠هـ	١٣	١٤١٦هـ	٧
١٤٠١هـ	١٣	بدون	٥
١٤٠٢هـ	٢٢		
المجموع			٣٤٠

العدد الإجمالي لأعضاء هيئة التدريس
موزعة حسب سنوات تخرجهم

٢ - محور سنة التخرج (الزمني) :

انحصر تخرج أعضاء هيئة التدريس بجامعة أم القرى بين عامي ١٣٨٥ - ١٤١٦هـ أي خلال ٣١ عامًا ، والمؤشر العددي تزايد بصورة عشوائية من واحد إلى اثنين، ثلاثة ، خمسة وهكذا ولكن من العام ١٤٠٠هـ كانت الزيادة المفاجئة والقفزة الكبيرة في التخرج من عام ١٣٩٩ - ١٤١٣هـ وهكذا الزيادة حتى عام ١٤١٥هـ ، ولكن مع العام ١٤١٦هـ انخفض المؤشر فجأة كما حصل في الزيادة إلى ٧ وما يشار عنه بدون في الجدول رقم (١) يفسرّ بأنّ عضو هيئة التدريس لم يذكر تاريخ تخرجه ، ولكنه انحصر خلال الفترة السابقة .

كلية الشريعة تمثل أقدم كلية في الجامعة ، حيث شهد العام ١٣٨٥هـ أول خريج فيها والزيادة العددية كانت منطقية خلال الأقسام السبعة ، ولكن أيضًا مع حلول العام ١٤٠٠هـ بدأ مؤشر الزيادة واضحًا وكان عام ١٤١٠هـ حيث وصل العدد إلى ٨ ، أربعة منهم في قسم الحضارة يليه العام ١٤٠٩هـ بلغ العدد ٧ ، أربعة منهم لقسم الاقتصاد الإسلامي . والسنوات ١٤٠٥ ، ١٤٠٢ ، ١٤١٣، كان العدد ٥ لكل سنة .

كلية الدعوة وأصول الدين من الكليات الحديثة تقريبًا وخلال أقسامها الأربعة انحصرت سنوات التخرج كما نلاحظ في الجدول رقم (٣) بين ١٣٩٦هـ و١٤١٥هـ ، واحتل قسم الكتاب والسنة المرتبة الأولى في سنوات التخرج والعدد الإجمالي كذلك ، وعام ١٤١٢هـ بلغ عدد الخريجين إلى ٥ كأعلى رقم .

أما كلية اللغة العربية فكان لها السبق مع كلية الشريعة في أقدمية التخرج فأول متخرج كان في الثمانينات ١٣٨٨هـ من قسم الأدب ، وأكثر عام كان عام ١٤٠٢هـ (٧) ، ويليه عام ١٤١٦هـ (٦ أفراد) ، وبقية الأعوام من ١ - ٣ .

كلية التربية بمكة المكرمة تعدّ - كما هو معروف - من الكليات القديمة وارتباطها بإدارة التعليم سابقًا

الأقسام / سنة التخرج	الشريعة	القضاء	الدراسات العليا الشرعية	التاريخ الإسلامي	الحضارة والنظم	الدراسات العليا في التاريخ	الاقتصاد الإسلامي	المجموع
١٣٨٥هـ	١							١
١٣٩٠هـ			١					١
١٣٩٣هـ			١					١
١٣٩٤هـ						١		١
١٣٩٨هـ		١						١
١٤٠٠هـ	١		٢		١			٤
١٤٠٢هـ	١	٢						٣
١٤٠٣هـ	١						١	٢
١٤٠٤هـ	٢							٢
١٤٠٥هـ	١	١			١	١	١	٥
١٤٠٦هـ	١			١				٢
١٤٠٧هـ	٢			٣	١			٦
١٤٠٨هـ	١			٣				٤
١٤٠٩هـ	١	١		١			٤	٧
١٤١٠هـ	٢			١	٤		١	٨
١٤١١هـ	١							١
١٤١٢هـ	٣			١			١	٥
١٤١٣هـ	١	٢		١	١			٥
١٤١٤هـ		١			١			٢
١٤١٥هـ							١	١
بدون	١				١	١		٣
المجموع	٢٠	٨	٤	١١	١٠	٣	٩	٦٥
٪	٣٠٫٧٧	١٢٫٣	٦٫١٥	١٦٫٩٢	١٥٫٣٨	٤٫٦٣	١٣٫٨٥	١٠٠

الجدول رقم (٢)

توزيع الأعضاء حسب سنوات التخرج (كلية الشريعة والدراسات الإسلامية)

الأقسام / سنة التخرج	الكتاب والسنة	العقيدة	الدعوة والثقافة الإسلامية	الإعلام	المجموع
١٣٩٦هـ	١				١
١٤٠٠هـ	٢	٢			٤
١٤٠١هـ	١				١
١٤٠٣هـ	١	١			٢
١٤٠٤هـ		١			١
١٤٠٥هـ	١	١			٢
١٤٠٨هـ	١				١
١٤٠٩هـ	٢	١			٣
١٤١٠هـ	٢	١			٣
١٤١١هـ	٢	١	١		٤
١٤١٢هـ	٢	٢	١		٥
١٤١٣هـ	٤				٤
١٤١٤هـ	٢			١	٣
١٤١٥هـ	٢			١	٣
بدون			١		١
المجموع	٢٣	١٠	٣	٢	٣٨
٪	٦٠٫٥	٢٦٫٤	٧٫٩	٥٫٢	١٠٠٪

الجدول رقم (٣)

توزيع الأعضاء حسب سنوات التخرج (كلية الدعوة وأصول الدين)

واستقلالها تحت مسمى كلية ، انحصرت سنوات التخرج من عام ١٣٩٩هـ حتى ١٤١٥هـ وتفاوت السنوات في عدد المتخرجين وأقصى ما وصلت إليه كان عام ١٤٠٥هـ وعدد الخريجين (٨) وعام ١٤٠٧هـ بلغ عدد المتخرجين (٧) والغريب أنها من أقدم الكليات ، وكان أقدم متخرج لها عام ١٣٩٩هـ .

أما كلية العلوم التطبيقية وهي أيضًا كانت على شكل أقسام في كلية التربية، وتكونت كلية مستقلة عام ١٤٠٢هـ

الأقسام / سنة التخرج	الأدب	اللغة والنحو والصرف	البلاغة	المجموع
١٣٨٨هـ	١			١
١٣٨٩هـ	٢			٢
١٣٩٥هـ	١			١
١٣٩٦هـ		١		١
١٤٠٠هـ			١	١
١٤٠٢هـ	٣	٣	١	٧
١٤٠٣هـ		١		١
١٤٠٤هـ		١		١
١٤٠٦هـ		٣		٣
١٤٠٨هـ		٢	١	٣
١٤٠٩هـ	١			١
١٤١٠هـ		١	١	٢
١٤١١هـ		١		١
١٤١٢هـ	١		١	٢
١٤١٣هـ		١	١	٢
١٤١٤هـ			٢	٢
١٤١٥هـ		١	١	٢
١٤١٦هـ	٢	٤		٦
المجموع	١١	١٩	٩	٣٩
٪	٢٨٫٢	٤٨٫٧	٢٣٫١	١٠٠٪

الجدول رقم (٤)

توزيع الأعضاء حسب سنوات التخرج (كلية اللغة العربية)

الأقسام / سنة التخرج	التربية الإسلامية	مناهج وطرق تدريس	علم النفس	الإدارة التربوية	التربية الرياضية	التربية الفنية	المجموع
١٣٩٩هـ	١						١
١٤٠٠هـ			١	١			٢
١٤٠١هـ	١	١	١				٣
١٤٠٢هـ	١	٤		٣			٨
١٤٠٣هـ		٢	١				٣
١٤٠٤هـ	١	٣		١			٥
١٤٠٥هـ	١	١	٤	١	١		٨
١٤٠٦هـ			١	٢		١	٤
١٤٠٧هـ	١	١	٢	٣			٧
١٤٠٨هـ	١	١	٢	١			٥
١٤٠٩هـ			١	١	١		٣
١٤١١هـ	١						١
١٤١٢هـ	٢	١			١	١	٥
١٤١٤هـ			١			١	٢
١٤١٥هـ			١				١
بدون					١		١
المجموع	١٠	١٤	١٥	١٣	٤	٣	٥٩
٪	١٦٫٩٤	٢٣٫٧٢	٢٥٫٤٣	٢٢٫٠٣	٦٫٧٧	٥٫٠٨	١٠٠٪

الجدول رقم (٥)

توزيع الأعضاء حسب سنوات التخرج (كلية التربية «مكة المكرمة»)

الأقسام / سنة التخرج	الفيزياء	الأحياء	الكيمياء	العلوم الرياضية	العلوم الطبية	المجموع
١٣٩١هـ			٢			٢
١٣٩٢هـ		١				١
١٣٩٥هـ	١					١
١٣٩٨هـ		١			١	٢
١٣٩٩هـ	١		١			٢
١٤٠٠هـ		١				١
١٤٠١هـ		١		١	١	٣
١٤٠٣هـ		١				١
١٤٠٤هـ	٢		١			٣
١٤٠٥هـ			١			١
١٤٠٦هـ	١	٢		٣		٦
١٤٠٧هـ		٢				٢
١٤٠٨هـ			١	١	١	٣
١٤٠٩هـ	٢	٢	٤	٣		١١
١٤١٠هـ		٣	٣	٢		٨
١٤١١هـ			١	١		٢
١٤١٢هـ	٢					٢
١٤١٣هـ		١				١
١٤١٥هـ	١					١
المجموع	١٠	١٥	١٤	١١	٣	٥٣

الجدول رقم (٦)
توزيع الأعضاء حسب سنوات التخرج (كلية العلوم التطبيقية)

الأقسام / سنة التخرج	العلوم التربوية	الدراسات الإسلامية	اللغة العربية	اللغات الأجنبية	الأحياء	المجموع
١٣٩٦هـ	١	١				٢
١٣٩٧هـ	١					١
١٤٠١هـ	١	١	١			٣
١٤٠٢هـ	١			١		٢
١٤٠٣هـ		١				١
١٤٠٧هـ	١	١				٢
١٤٠٩هـ	١					١
١٤١٠هـ	٢		١	١	١	٥
١٤١٢هـ			١			١
المجموع	٨	٤	٣	٢	١	١٨

الجدول رقم (٧)

توزيع الأعضاء حسب سنوات التخرج (كلية التربية «بالطائف»)

انحصر التخرج فيها بين عامي ١٣٩١ ، ١٤١٥هـ ووصل إلى حد الذروة عام ١٤٠٩هـ (١١ عضواً)، وهذا عدد كبير مقارنة بالمجموع العام وبرز قسم الكيمياء في ذلك العام بالعدد الأكبر ويليه عام ١٤١٠هـ (٨) وعام ١٤٠٦هـ (٦) .

كلية التربية بالطائف من الكليات المتجمعة والمجتمعة في مكان خلاف موطن الأصل مكة المكرمة، وما يذكر من سنوات التخرج يعدّ في الأصل ناتج من كليات مكة المكرمة وانتقل الأعضاء إلى الطائف ولم يتخرج من ابتعاثه من الطائف ولكن من مكة المكرمة .

أما كلية الهندسة والعمارة الإسلامية فهي من الكليات الحديثة وأيضًا المتفرعة من كلية العلوم التطبيقية، كان الحد الزمني للتخرج منطقياً حسب حداثته ، حيث لم يتعد الثلاث في السنوات ١٤٠٩ ، ١٤١١ ، ١٤١٣هـ .

أما أحدث كلية بالجامعة فهي كلية العلوم الاجتماعية وهي أيضًا من الكليات التي كانت تتبع كلية التربية (لقسمين منها) وهما قسما الجغرافيا واللغة الإنجليزية ، لم تشهد ذلك النشاط على مدار سنوات التخرج ، وإنما كان العدد من ١ إلى ٤ (عام ١٤١١هـ) وانحصر من عام ١٤١١هـ حتى عام ١٤١٦هـ ، وكذلك معهد اللغة العربية لغير الناطقين هو في الواقع لبنة من لبنات كلية اللغة العربية ، واهتمام الجامعة بالمعهد أعطته الاستقلالية ، ووصل عدد الخريجين عام ١٤١٥هـ إلى ٣ وهو أقصى عدد.

٣ – المحور النوعي (الجنس) :

بما أنّ المجموع الكلي للعدد كان (٣٤٠) عضواً فهو

الأقسام / سنة التخرج	الهندسة المدنية	الهندسة الكهربائية	العمارة الإسلامية	الهندسة الميكانيكية والحاسبات	المجموع
١٤٠٤هـ	١		١		٢
١٤٠٥هـ		١			١
١٤٠٦هـ				١	١
١٤٠٧هـ	١		١		٢
١٤٠٩هـ	١		٢		٣
١٤١٠هـ		١	١		٢
١٤١١هـ	١	١		١	٣
١٤١٢هـ	١	١			٢
١٤١٣هـ	٢		١		٣
١٤١٤هـ			١		١
١٤١٥هـ				١	١
المجموع	٧	٤	٧	٣	٢١

الجدول رقم (٨)

توزيع الأعضاء حسب سنوات التخرج (كلية الهندسة والعمارة الإسلامية)

في الحقيقة يشمل الذكور والإناث ، فكان عدد الإناث ٣٢ عضوة فقط وهي نسبة قليلة جداً مقارنة بالمجموع العام ، أما التوزيع فتعدّ كلية الشريعة والدراسات الإسلامية في المرتبة الأولى بواقع ١٢ عضوة (٦ لقسم الشريعة ، ٦ لقسم التاريخ الإسلامي) ، أما المرتبة الثانية فكلية اللغة العربية ١٠ عضوات (٧ لقسم اللغة والنحو والصرف ، ٢ لقسم الأدب، وواحدة لقسم البلاغة والنقد) بعد ذلك كلية التربية بمكة المكرمة ٤ عضوات (٢ لقسم التربية الإسلامية المقارنة ، وواحدة لعلم النفس، وواحدة لقسم الإدارة التربوية والتخطيط) ورابعًا كلية الدعوة وأصول الدين ٣ عضوات فقط (اثنان لقسم الكتاب والسنة ، وواحدة لقسم العقيدة) وأخيراً كلية العلوم الاجتماعية بواقع عضوتين لقسم اللغة الإنجليزية ، أما معهد اللغة العربية فواحدة فقط ، وقد خلت الكليات التالية من العنصر النسوي السعودي : كلية العلوم التطبيقية ، كلية التربية بالطائف، وكلية الهندسة والعمارة الإسلامية .

الأقسام / سنة التخرج	الجغرافيا	اللغة الإنجليزية	الخدمة الاجتماعية	المكتبات والمعلومات	المجموع
١٣٩١هـ	١				١
١٣٩٥هـ	١				١
١٣٩٦هـ	١				١
١٣٩٩هـ		٢			٢
١٤٠٠هـ	١				١
١٤٠١هـ	٢	١			٣
١٤٠٢هـ		٢			٢
١٤٠٣هـ			١		١
١٤٠٤هـ	١				١
١٤٠٥هـ	١	٢			٣
١٤٠٦هـ	١	١		١	٣
١٤٠٧هـ		١		١	٢
١٤٠٨هـ	١	١			٢
١٤١٠هـ	١	١			٢
١٤١١هـ	٢	١		١	٤
١٤١٢هـ		٢			٢
١٤١٣هـ		١			١
١٤١٤هـ			٢		٢
١٤١٥هـ		١			١
١٤١٦هـ	١				١
المجموع	١٤	١٦	٣	٣	٣٦

الجدول رقم (٩)

توزيع الأعضاء حسب سنوات التخرج (كلية العلوم الاجتماعية)

هناك أكثر من علامة استفهام حول خلو كلية العلوم التطبيقية والتربية بالطائف من العنصر النسوي . أما كلية الهندسة فهذا طبيعي نظرًا لعدم وجود قسم للطالبات ..

والغريب في الأمر أنّ هناك كليات كثيرة تقدم درجة الماجستير والدكتوراه داخل المملكة وعدد العنصر النسوي قليل، مثال ذلك كلية التربية وكلية الدعوة وأصول الدين

الأقسام / سنة التخرج	تعليم اللغة العربية	اللغوي والتربوي
١٣٩٧هـ	١	١
١٤٠٨هـ		١
١٤١٠هـ		١
١٤١١هـ		٢
١٤١٢هـ		١
١٤١٣هـ		١
١٤١٥هـ		٣
المجموع		١٠

الجدول رقم (١٠)

توزيع الأعضاء حسب سنوات التخرج (معهد اللغة العربية)

وبعض الأقسام في كلية العلوم الاجتماعية (الجغرافيا ، اللغة الإنجليزية) . ومن الواقع أنّ عدد الحاصلات على درجة الماجستير لابأس به، ولكن الدليل لم يشمل سوى الحاصلات على درجة الدكتوراه فقط (انظر الجداول ١٢ وما بعده) .

٤ – محور مكان التخرج :

يرتبط مكان التخرج بالعدد (ذكور وإناث) حيث إنّ العدد (٣٤٠) ويقتصر بمكان التخرج (داخل) أي داخل المملكة و(خارج) أي خارج المملكة، وبدون لم يذكر العضو مكان تخرجه .. وصل مجموع من تخرج من خارج المملكة (١٨٩) ، وذلك نسبة ٥٥,٥٨٪ أكثر من المتخرجين داخل المملكة (١٤٩) ، ٤٣,٨٢٪ وخاصة في التخصصات التي لا تقدم درجات عليا في المملكة مثل كلية الهندسة والعمارة الإسلامية وكلية العلوم التطبيقية، فقد خلت من خريجين داخل المملكة أما بقية الكليات فقد جمعت بين الداخل والخارج وغلب الداخل في كليات الدعوة وأصول الدين والشريعة والدراسات الإسلامية واللغة العربية ومعهد اللغة العربية مع وجود عدد قليل منهم من خارج المملكة .

وهناك اثنان من المتخرجين لم يذكرا مكان التخرج ٥٨,٪.

كما هو معروف بدأ الابتعاث في المملكة العربية السعودية في وقت مبكر ولتخصصات مختلفة حتى اللغة العربية والدراسات الإسلامية ، ومع الوقت أصبحت الكليات تقدم درجة الماجستير والدكتوراه في التخصصات الشرعية والعربية خاصة والابتعاث في هذين التخصصين للخارج شبه معدوم الآن ، وبدأت أقسام أخرى تقدم درجات عليا داخل المملكة ؛ ومع الوقت كذلك توقف الابتعاث للخارج لها .

٥ – محور الدرجة العلمية :

تمنح الدرجة العلمية لعضو هيئة التدريس على ثلاث مراتب ، أستاذ مساعد عند تعيينه بعد حصوله على درجة الدكتوراه ومن ثم أستاذ مشارك بعد أربع سنوات من حصوله على درجة الدكتوراه وتقديمه لبحوث وفق شروط المجلس العلمي بالجامعة ، وكذلك درجة أستاذ بعد أربع سنوات في رتبة أستاذ مشارك (٦) .

المحصلة النهائية من الجداول السابقة توضح أنّ عدد من هم على درجة أستاذ الأقل (٣٥ عضواً) بنسبة ٧٪ فقط وهي نسبة قليلة جداً أما من هم على درجة أستاذ مشارك فعددهم (٧٩ عضواً) بنسبة ٢٣٪ والنسبة العليا لمن هم على درجة أستاذ مساعد يصل إلى (٢٣٦) عضواً بنسبة ٧٠٪ ، وهذا ناتج أما لحداثة تخرجهم أو لقلة إنتاجهم العلمي ، وترقيتهم لدرجة أعلى ، أما كنسبة فتعدّ نسبة عالية جداً احتلت فيها كلية العلوم التطبيقية المرتبة الأولى لنيل درجة الأستاذية أما على مستوى الأقسام فالمرتبة الأولى لقسم الأدب (٤) أعضاء ثم أقسام : الأحياء، الكيمياء ، الجغرافيا (٣ أعضاء) لكل قسم .

الدرجة العلمية هي مؤشر عضو هيئة التدريس في تقديمه للإنتاج العلمي وتدرجه على درجات، ناتج من إنتاجه العلمي، فبدون الإنتاج لا يكون هناك درجة علمية مثل الوظائف

الإدارية والعلاوات السنوية .. فكون قسم الأدب الأكثر عددًا ناتج عن أنه من الأقسام القديمة بالجامعة ، وكذلك أقسام : الأحياء والكيمياء والجغرافيا كانت أقسام ثابتة لكلية التربية قبل أن توزع على أقسامها العلمية المتخصصة.

أما درجة أستاذ مشارك فهي مؤشر لا بأس به ٢٣٪ من المجموع العام ، احتلت كلية العلوم التطبيقية المرتبة الأولى (١٨ عضوًا) تليها كلية التربية (١٧ عضوًا) أما على مستوى الأقسام فكان قسم الأحياء (٨ أعضاء) والمناهج وطرق التدريس (٧ أعضاء) واللغة والنحو والصرف (٦ أعضاء) والكيمياء والإنجليزي (٥ أعضاء) لكل منهما .

وإذا رجعنا إلى الجدول رقم (١) ووزعنا سنوات التخرج إلى ٣ أقسام ما قبل عام ١٤٠٠هـ (١٣ عامًا) نجد أنّ العدد الإجمالي للخريجين (٢٩) فردًا من عام ١٤٠٠ – ١٤٠٩هـ (١٠ سنوات) ١٨٣ فردًا أو عضوًا ، من عام ١٤١٠ – ١٤١٦هـ ١٢٨ فردًا .. من هم على درجة أستاذ تعادل الفترة الأولى تقريبًا ، ومن هم على درجة أستاذ مشارك ومعرفتنا لسنوات الترقية لابد أن يكون العدد أكبر من ذلك، وكذلك لمجموع من هم على درجة أستاذ مساعد .

٦ – محور الإنتاج الفكري :

يحمل الدليل في طياته معلومات من الإنتاج الفكري (كتب ، أبحاث ، كتب وأبحاث تحت الطبع) والتركيز يكون في الإنتاج الفكري المطبوع سواء كتب أو أبحاث والسبب في إهمال العنصر الثالث (تحت الطبع) لا يعدّ في حقيقة الأمر مثبت باسم الباحث قد يغير رأيه أو يغير العنوان ، وقد يكون جماعي (لأكثر من شخص) ، أما المطبوع فهو قد حصل فعلاً .. من الجدول (١١) يظهر جليًا تصدر كلية اللغة العربية الترتيب من حيث الإنتاج الفكري المطبوع (كتب) ١٢٥ كتابًا ولكلية العلوم التطبيقية من حيث الأبحاث (الدوريات) ٢٣٧ بحثًا ، أما كلية التربية ففي المرتبة الثانية من حيث إنتاج البحوث (١٣٠ بحثًا) ، ولكلية اللغة العربية (١٢٢ بحثًا) .

ورغم تصدر كلية العلوم التطبيقية من حيث إنتاج البحوث إلاّ أنّ إنتاج الكتب قليلاً جداً (٥ كتب فقط) ، كلية الشريعة إنتاجها متوازن بين الكتب والأبحاث (٦٩، ٦٥) ، والتربية بالطائف متساوي (٢٦، ٢٦) ، أما كلية الدعوة وأصول الدين فالكتب ٦٥ ، والأبحاث واحد فقط ، إذا ربطنا بين الإنتاج الفكري وعدد أعضاء هيئة التدريس في الكلية ، ومن ثم في القسم نجد التالي :

نجد أن عدد أعضاء هيئة التدريس في كلية الشريعة والدراسات الإسلامية (ذكور وإناث) ٦٥ عضوًا، منهم ٤ على درجة أستاذ و١٣ على درجة أستاذ مشارك ، و٤٨ على درجة أستاذ مساعد ، ويوضح الجدول رقم (٢١) أنّ قسم الدراسات العليا الشرعية احتل المرتبة الأولى رغم أن عدد أعضاء الهيئة التدريسية فيه ٤ فقط ، وأقل الأقسام إنتاجًا رغم أن عددهم الأكثر قسم الشريعة ؛ وهذا يضع أكثر من علامة استفهام ، وأعتقد أنّ الإجابة لدى أعضاء القسم .

والملاحظ في إنتاج قسم الدراسات العليا في التاريخ أنّ جميع إنتاجهم لم يذكر مكان الطبع داخل المملكة أو خارج المملكة ، والمجموع الكلي لـ بدون كبيرًا جداً مقارنة بمجموع ما طبع (٣٣ – ٣٥) .

وأن مجموع البحوث التي نشرت داخل المملكة أكثر مما نشر خارج المملكة (٢٩ – ٨) ، ومن لم يذكر مكان النشر في البحث أيضًا كبيراً ؛ وهذا دليل على عدم تعاون الباحث في تزويد الجهات المختصة بالجامعة بالبيانات البيليوجرافية الكاملة لكل كتاب أو بحث ، وأكثر الأقسام التي نشرت خارج المملكة هي قسم الحضارة والنظم الإسلامية ، ووضح عدم تعاون قسم الدراسات العليا في التاريخ، وعدم كتابة البيانات سواء في الكتب أو البحوث وبشكل لافت للنظر مع العلم أنّ هناك أكثر من ٢٠ عضوًا تخرجوا قبل عام ١٤٠٥هـ وأكثر من ٣٠ عضوًا بين عامي ١٤٠٦هـ ، ١٤١٠هـ .

أما كلية الدعوة وأصول الدين فمجموع أعضاء الهيئة التدريسية فيه (٤٧) عضوًا منهم واحد على درجة

أستاذ وأربعة على درجة أستاذ مشارك و٣٢ على درجة أستاذ مساعد وإنتاجهم ٦٥ كتاباً وبحثاً واحداً ، احتل قسم الكتاب والسنة المرتبة الأولى بـ ١٤ كتاباً والبحث الوحيد . وخلو قسم الإعلام الإسلامي من أي إنتاج .

والملاحظ في الكلية عدم الاهتمام بالبحوث بشكل كبير مقارنة بكلية الشريعة مثلاً ، وكذلك عدم ذكر البيانات الببليوجرافية الكاملة ، حيث وصل ما مجموعه ٤١ كتاباً من دون بيانات ببليوجرافية .

ويلاحظ أنّ ما نشر داخل المملكة أكثر من الخارج .. مع ملاحظة أنّ مجموع المتخرجين قبل عام ١٤١٠هـ(١٨) عضواً، ومن هو على درجة أستاذ واحد وأستاذ مشارك ٤ أعضاء.

كلية اللغة العربية أكثر الكليات إنتاجاً للكتب والثالث في مجال البحوث (الجدول رقم ١١) ومجموع أعضاء هيئة التدريس ٤٠ عضواً ، ٥ على درجة أستاذ ، وثمانية على درجة أستاذ مشارك ، و٢٧ عضواً أستاذ مساعد (٣٠ ذكور ، ١٠ إناث) .

احتل قسم الأدب المقدمة بـ ٨٦ كتاباً و٧٥ بحثاً (مع ملاحظة اكتمال بياناتها الببليوجرافية جميعاً) والثاني اللغة والنحو والصرف واحتل المنشور داخل المملكة سواء للكتب أو الأبحاث المرتبة المتقدمة عما هو خارج المملكة .

مع الأخذ في الحسبان أنّ مجموعة أعضاء هيئة التدريس في الأدب أقل من اللغة والنحو والصرف (الجدول رقم ٤) (١١ - ١٩ عضواً) . ونجد التوازن من خلال الجدول رقم (٢١) في إنتاج الكتب والبحوث خاصة قسم الأدب ؛ أما قسم البلاغة فإنتاجه هو ١١ كتاباً بتسع أعضاء وهناك ٢٥ عضواً تخرجوا قبل عام ١٤١١هـ .

كلية التربية بمكة : عدد أعضائها ٥٩ عضواً منهم ٤٩ عضواً تخرجوا قبل عام ١٤١٠هـ، فحصل اثنان منهم على درجة أستاذ و١٧ على درجة أستاذ مشارك وهذا العدد قليل جداً لمثل هذه الكلية ، أما إنتاجهم ٤٥ كتاباً و١٣٠ بحثاً ، وجاء قسم المناهج وطرق التدريس أولاً بالكتب والبحوث رغم إهمال بيانات النشر للكتاب والبحث، يليه قسم علم النفس وإهمال واضح للبيانات الببليوجرافية أما قسما التربية الفنية والرياضية فلا إنتاج يذكر ، ولكن عدد أعضائهم ٧ أعضاء (٣ - ٤) .

كلية العلوم التطبيقية : صاحب المركز الأول في عدد البحوث مقارنة بالكليات الأخرى وعدد أعضائها ٥٣ عضواً، والمركز الأول في عدد من هم على درجة أستاذ (٧) أعضاء ومن دون أي عنصر نسوي ، واهتمام كلية العلوم التطبيقية بالبحوث ناتج من حداثة المعلومات أولاً بأول لهذه العلوم والتطبيقات المعملية والمخبرية بها .. والملاحظة الأخرى أنّ أكثر بحوثهم مطبوعة خارج المملكة أي في دوريات أجنبية ، وما مجموعه ١٢ بحثاً فقط داخل المملكة، وأيضاً هذه ظاهرة طبيعية نتيجة للتخصص . والإنتاج المطبوع على شكل (كتاب) خمسة صدر في قسم الرياضيات ١، والطبية اثنان والأحياء كتاب واحد ، واحتل قسم الأحياء الأول من حيث إنتاج البحوث ٦٧ بحثاً وهو الأكثر في عدد أعضائه ١٥ عضواً و١١ من هم درجة أستاذ مساعد ، والكيمياء والفيزياء أما العلوم الطبية والرياضية فأقل الأقسام إنتاجاً وفي المقابل أنّ ما مجموعه ٤٧ عضواً تخرجوا قبل عام ١٤١١هـ ، منهم ٧ على درجة أستاذ و١٨ على درجة أستاذ مشارك أي ٢٥ عضواً تقريباً النصف ولا يوجد على درجة أستاذ في كل من العلوم الرياضية والعلوم الطبية .

كلية التربية بالطائف كما هو معروف اهتمام جامعة أم القرى بالتخصص التربوي وقيام كلية التربية بالطائف على قسم العلوم التربوية كقسم مساند للتخصصات الأخرى في إمداده بالتخصص التربوي ، لذا احتل قسم العلوم التربوية المرتبة الأولى من ناحية العدد الإجمالي للأعضاء والدرجة العلمية وأيضاً الإنتاج العلمي مقارنة بالأقسام الأخرى ما مجموعه ٥ كتب ، ١٧ بحثاً لثمانية من الأعضاء متخرجين من خارج المملكة ؛ منهم اثنان على درجة أستاذ ؛ وأعتقد أنّ هذا الإنتاج قليل جداً وأغلب

الظن وهو الواقع أنّ الإنتاج خاص بمن هم على درجة أستاذ ، وأقل الأقسام إنتاجاً قسم الأحياء مع وجود عضو واحد فقط ، احتل المرتبة الثانية قسم الدراسات الإسلامية رغم أن عددهم ٤ أعضاء و١٣ كتاباً وخمسة أبحاث وهو أكثر من العلوم التربوية . وأعتقد أنّ سبب قلة الإنتاج للأقسام بتربية الطائف ناتج من الضغط الحاصل في حصص التدريس وقلة الأعضاء أدى إلى قلة الإنتاج العلمي .

أما كلية الهندسة والعمارة الإسلامية فنجد أنّ الإنتاج العلمي انحصر أكثر كما هو موضح في الجدول رقم (١١) في الأبحاث ٤٢ بحثاً وكتابين فقط ، وهناك ٥ أعضاء على درجة أستاذ مشارك و١٦ على درجة أستاذ مساعد ، الكتاب كان من نصيب قسم العمارة الإسلامية أما الأبحاث فأكبر نصيب لقسم الهندسة الكهربية والحاسبات وأغلبها في دوريات خارج المملكة . رغم أنّ أعضاء الهندسة المدنية والعمارة الإسلامية أكثر عدداً إلاّ أنّ إنتاجهم قليل مقارنة بالكهربية والحاسبات .

كلية العلوم الاجتماعية : نجد أنّ إنتاجهم من حيث الكتب ٣٩ كتاباً والأبحاث ٨٩ بحثاً، لقسم الجغرافيا النصيب الأوفر ٢١ كتاباً و٥١ بحثاً ، وهذا طبيعي إذا وجدنا أنّ عدد أعضائه ١٤ عضواً ؛ منهم ٣ على درجة أستاذ وثلاثة أستاذ مشارك و٨ على درجة أستاذ مساعد ، و١٢ منهم تخرج قبل عام ١٤١٠هـ ، ويأتي في المرتبة الثانية قسم اللغة الإنجليزية بـ ١٥ كتاباً و٢٨ بحثاً رغم أنّ عدد أعضائه أكثر من قسم الجغرافيا ومن هم على درجة أستاذ مشارك ٥ وأستاذ واحد ومساعد ١٠ والمجموع ١٦ عضواً ، ويعدّ القسم من الأقسام القديمة مع الجغرافيا (كما ذكر سابقاً) كانا ضمن كلية التربية . وأخيراً قسم الخدمة الاجتماعية والمكتبات والمعلومات كأحدث الأقسام وإنتاجهم شبه متواضع وهو يعادل عدد أعضائه .

وأخيراً ؛ معهد اللغة العربية لغير الناطقين بها فأقل الجهات إنتاجاً حسب الجدول رقم (١١) بحثان وكتاب واحد ، رغم أن عدد أعضائه ١٠ أعضاء .

الخلاصة ؛ أنّ كلية اللغة العربية ، كلية التربية ، كلية العلوم التطبيقية . نجدهم أكثر الكليات إنتاجاً نظراً لقدم هذه الكليات، ولكن تفوق كلية العلوم التطبيقية في الأبحاث يدل على سرعة إنجازهم للأبحاث مقارنة بالتربية واللغة العربية . وكلية الشريعة هي أيضاً من الكليات التي تأسست قبل أن تصبح أم القرى جامعة ولكن إنتاجها مقارنة بقدمها وبعدد أعضائها قليل جداً ولا يقارن .

لا يمكن أن تقدم الجهة الأكاديمية إغراءات أكثر من درجة الدكتوراه لعضو هيئة التدريس (من قبوله وابتعاثه وتعيينه) ومباشرة العضو في البحث العلمي راجع إليه وليس إلى الجامعة ، قد يكون العضو مشغولاً بالتدريس والنصاب والساعات المكتبية والإشراف والأعمال الإدارية وكل ذلك من عمله أما البحث فلذاته شخصياً ودليل على مواصلة العضو في القراءة والبحث والكتابة واكتفاء العضو بالمشغوليات سابقاً وانصرافه عن القراءة والبحث يجعله بعيداً عن الجو الأكاديمي، وخاصة أنّ الجامعة تقدم سنوياً سنة التفرغ العلمي لأكثر من عضو هنا يجب على العضو البحث الجاد عما هو جديد في عالمه .

الكلية	كتب	أبحاث
الشريعة والدراسات الإسلامية	٦٩	٦٥
اللغة العربية	١٢٥	١٢٣
العلوم التطبيقية	٥	٢٣٧
العلوم الاجتماعية	٣٩	٨٩
التربية بالطائف	٢٦	٢٦
معهد اللغة العربية	١	٢
الدعوة وأصول الدين	٦٥	١
التربية بمكة المكرمة	٤٥	١٣٠
الهندسة والعمارة الإسلامية	٢	٤٢

الجدول رقم (١١)
الإنتاج الفكري موزّع حسب الكليات

• **كلية اللغة العربية :**

القسم	العدد		مكان التخرج			الدرجة العلمية			النتاج الفكري		
	ذكور	إناث	داخل	خارج	بدون*	أستاذ	أ. مشارك	أ. مساعد	كتب	أبحاث	تحت الطبع#
الأدب	٩	٢	٩	٢	–	٤	١	٦	٨٦	٧٨	١٧
اللغة والنحو والصرف	١٣	٧	١٩	١	–	١	٦	١٣	٢٦	٣١	٢١
البلاغة والنقد	٨	١	٨	١	–	–	١	٨	١٣	١٤	١٦
المجموع	٣٠	١٠	٣٦	٤	–	٥	٨	٢٧	١٢٥	١٢٣	٥٤

* بدون مكان التخرج
كتب وأبحاث

الجدول رقم (١٣)

• **كلية الشريعة والدراسات الإسلامية :**

القسم	العدد		مكان التخرج			الدرجة العلمية			النتاج الفكري		
	ذكور	إناث	داخل	خارج	بدون*	أستاذ	أ. مشارك	أ. مساعد	كتب	أبحاث	تحت الطبع#
الشريعة	١٤	٦	١٧	٢	١	٢	١	١٧	٧	–	٧
القضاء	٨	–	٨	–	–	–	–	٨	٣	٤	٢
الدراسات العليا الشرعية	٤	–	٢	٢	–	١	٣	–	٢٠	١٦	٣
التاريخ الإسلامي	٥	٦	١١	–	–	–	٣	٨	١٥	١٢	٢٣
الحضارة والنظم الإسلامية	١٠	–	٩	١	–	–	٣	٧	١١	١١	١٥
الدراسات العليا التاريخية	٣	–	١	١	١	١	٢	–	١٢	١٨	٢
الاقتصاد الإسلامي	٩	–	٩	–	–	–	١	٨	١	٤	٦
المجموع	٥٣	١٢	٥٧	٦	٢	٤	١٣	٤٨	٦٩	٦٥	٥٨

* بدون مكان التخرج
كتب وأبحاث

الجدول رقم (١٢)

- **كلية العلوم الاجتماعية :**

القسم	العدد		مكان التخرج			الدرجة العلمية			النتاج الفكري		
	ذكور	إناث	داخل	خارج	بدون*	أستاذ	أ. مشارك	أ. مساعد	كتب	أبحاث	تحت الطبع#
الجغرافيا	١٤	–	–	١٤	–	٣	٣	٨	٢١	٥١	٣٠
اللغة الإنجليزية	١٤	٢	١	١٥	–	١	٥	١٠	١٥	٢٨	٤١
الخدمة الاجتماعية	٣	–	–	٣	–	–	١	٢	–	٤	٤
المكتبات والمعلومات	٣	–	–	٣	–	–	١	٢	٣	٦	٤
المجموع	٣٤	٢	١	٣٥	–	٤	١٠	٢٢	٣٩	٨٩	٧٩

* بدون مكان التخرج

\# كتب وأبحاث

الجدول رقم (١٥)

- **كلية العلوم التطبيقية :**

القسم	العدد		مكان التخرج			الدرجة العلمية			النتاج الفكري		
	ذكور	إناث	داخل	خارج	بدون*	أستاذ	أ. مشارك	أ. مساعد	كتب	أبحاث	تحت الطبع#
الفيزياء	١٠	–	–	١٠	–	١	١	٨	١	٥٢	٦
الأحياء	١٥	–	–	١٥	–	٣	٨	٤	١	٨١	١٨
الكيمياء	١٤	–	–	١٤	–	٣	٥	٦	–	٥٤	٤
العلوم الرياضية	١١	–	–	١١	–	–	٢	٩	١	٣١	١٦
العلوم الطبية	٣	–	–	٣	–	–	٢	١	٢	١٩	١٠
المجموع	٥٢	–	–	٥٣	–	٧	١٨	٢٨	٥	٢٣٧	٥٤

* بدون مكان التخرج

\# كتب وأبحاث

الجدول رقم (١٤)

* **معهد اللغة العربية :**

القسم	العدد		مكان التخرج			الدرجة العلمية			النتاج الفكري		
	ذكور	إناث	داخل	خارج	بدون*	أستاذ	أ.مشارك	أ.مساعد	كتب	أبحاث	تحت الطبع#
	٩	١	٨	٢	–	–	–	١٠	١	٢	٢
المجموع	٩	١	٨	٢	–	–	–	١٠	١	٢	٢

* بدون مكان التخرج
كتب وأبحاث

الجدول رقم (١٧)

* **كلية التربية بالطائف :**

القسم	العدد		مكان التخرج			الدرجة العلمية			النتاج الفكري		
	ذكور	إناث	داخل	خارج	بدون*	أستاذ	أ.مشارك	أ.مساعد	كتب	أبحاث	تحت الطبع#
العلوم التربوية	٨	–	–	٨	–	٢	١	٥	٥	١٧	٣
الدراسات الإسلامية	٤	–	٢	٢	–	–	٢	٢	١٣	٥	١٢
اللغة العربية	٣	–	٣	–	–	–	١	٢	٦	–	١
اللغات الأجنبية	٢	–	٢	–	–	–	–	٢	٢	٢	٤
الأحياء	١	–	–	١	–	–	–	١	–	٢	–
المجموع	١٨	–	٧	١١	–	٢	٤	١٢	٢٦	٢٦	٢٠

* بدون مكان التخرج
كتب وأبحاث

الجدول رقم (١٦)

• **كلية التربية بمكة المكرمة :**

القسم	العدد		مكان التخرج			الدرجة العلمية			النتاج الفكري		
	ذكور	إناث	داخل	خارج	بدون*	أستاذ	أ. مشارك	أ. مساعد	كتب	أبحاث	تحت الطبع#
التربية الإسلامية المقارنة	٨	٢	٤	٦	–	–	٤	٦	١١	٢٧	٢٠
المناهج وطرق التدريس	١٤	–	١	١٣	–	–	٧	٧	١٧	٣٥	١٤
علم النفس	١٤	١	–	١٥	–	١	٣	١١	١٣	٥٦	٢١
الإدارة التربوية والتخطيط	١٢	١	–	١٣	–	١	٣	٩	٢	١٠	١٤
التربية الرياضية	٤	–	–	٤	–	–	–	٤	٢	٢	٢
التربية الفنية	٣	–	–	٣	–	–	–	٣	–	–	٢
المجموع	٥٥	٤	٥	٥٤	–	٢	١٧	٤٠	٤٥	١٣٠	٧٣

* بدون مكان التخرج
كتب وأبحاث

الجدول رقم (١٩)

• **كلية الدعوة وأصول الدين :**

القسم	العدد		مكان التخرج			الدرجة العلمية			النتاج الفكري		
	ذكور	إناث	داخل	خارج	بدون*	أستاذ	أ. مشارك	أ. مساعد	كتب	أبحاث	تحت الطبع#
الكتاب والسنة	٢١	٢	٢٢	١	–	١	٢	٢٠	٣٥	١	١٦
العقيدة	٩	١	١٠	–	–	–	٢	٨	١٩	–	٤
الدعوة والثقافة الإسلامية	٣	–	٣	–	–	–	–	٣	١٠	–	٥
الإعلام الإسلامي	٢	–	–	٢	–	–	–	٢	–	–	–
المجموع	٣٥	٣	٣٥	٣	–	١	٤	٣٢	٦٤	١	٢٥

* بدون مكان التخرج
كتب وأبحاث

الجدول رقم (١٨)

النتائج :

١ – بناء الخطة التعليمية لكلية التربية بالطائف بطيء جداً، وإلاّ هل من المعقول أن يكون قسم أكاديمي متكامل وعضو تدريس سعودي واحد (قسم الأحياء).

٢ – إهمال واضح في كتابة البيانات الببليوجرافية ، وإلا هل يعقل أن يكون هناك ٣٣ كتاباً و٢٧ بحثاً لكلية واحدة (الشريعة) دون كتابة البيانات وكذلك كلية الدعوة وأصول الدين ، والإهمال هذا يجعل الباحث في حيرة ومشقة للحصول على الكتاب أو الاستعانة بالبحث .

٣ – العدد (٣٤٠) عضواً لا يمثل الواقع الحقيقي لأعضاء هيئة التدريس ، وإنما هذا العدد المتجاوب حين إعداد الدليل وهو نقطة ليست لصالح العضو السعودي داخل أكاديمية علمية تعدّ التعاون والتعريف بالنشاطات العلمية والثقافية جزءاً من مهمتها .

٤ – كلية التربية بالطائف فرع من فروع جامعة أم القرى وهي في الأساس فروع لأقسام علمية ونظرية تحت مظلة كلية واحدة ، وتقدم الإعداد التربوي لتلك الأقسام ليتخرج الطالب بدرجة بكالوريوس مع الإعداد التربوي لتلك الأقسام ليتخرج الطالب بدرجة بكالوريوس مع الإعداد التربوي ومعظم أعضاء هيئة التدريس فيها محولين من كليات وأقسام من مكة المكرمة ، أما قسم العلوم التربوية فهو قسم مشتق من كلية التربية بمكة المكرمة ، ويقدم المواد التربوية لأقسام الطائف، ولا يخرج الطالب بدرجة علمية معينة. ويلاحظ من تخصصات أعضاء قسم الدراسات الإسلامية أن أحدهم في مجال التاريخ والآخر في مجال الشريعة والثالث فقه وأصوله وهكذا . وبقية الأقسام في الطائف عدد الأعضاء واحد مثلاً في الأحياء ، و٢ في اللغات الأجنبية ، وثلاثة في اللغة العربية وهكذا ، وهذا يعدّ قليلاً جداً مقارنة بما تقدمه الكلية لمحافظة الطائف والقرى التي حولها

• **كلية الهندسة والعمارة الإسلامية :**

القسم	العدد		مكان التخرج			الدرجة العلمية			النتاج الفكري		
	ذكور	إناث	داخل	خارج	بدون*	أستاذ	أ.مشارك	أ.مساعد	كتب	أبحاث	تحت الطبع#
الهندسة المدنية	٧	–	–	٧	–	–	–	٧	–	٧	٧
الهندسة الكهربية والحاسبات	٤	–	–	٤	–	–	١	٣	–	١٩	–
العمارة الإسلامية	٧	–	–	٧	–	–	٣	٤	٢	١٠	٣
الهندسة الميكانيكية	٣	–	–	٣	–	–	١	٢	–	٦	٦
المجموع	٢١	–	–	٢١	–	–	٥	١٦	٢	٤٢	١٦

* بدون مكان التخرج

كتب وأبحاث

الجدول رقم (٢٠)

الشريعة والدراسات الإسلامية :

الأقسام	النتاج الفكري المطبوع (الكتب)			النتاج الفكري المطبوع في الدوريات (البحوث)		
	داخل	خارج	بدون	داخل	خارج	بدون
الشريعة	٥	–	٢	–	–	–
القضاء	–	–	٣	٢	–	٢
الدراسات العليا الشرعية	١٦	١	٣	١٤	١	١
التاريخ الإسلامي	٧	–	٨	٥	٢	٥
الحضارة والنظم الإسلامية	٧	–	٤	٤	٥	٢
الدراسات العليا التاريخية	–	–	١٢	–	–	١٨
الاقتصاد الإسلامي	–	–	١	٤	–	–
المجموع	٣٥	١	٣٣	٢٩	٨	٢٨
الدعوة وأصول الدين :						
الكتاب والسنة	١٤	٢	١٩	١	–	–
العقيدة	٧	–	١٢	–	–	–
الدعوة والثقافة الإسلامية	–	–	١٠	–	–	–
الإعلام الإسلامي	–	–	–	–	–	–
المجموع	٢١	٢	٤١	١	–	–
اللغة العربية :						
الأدب	٥٦	٣٠	–	٥٣	٢٥	–
اللغة والنحو والصرف	١٨	٢	٦	٢٢	٤	٥
البلاغة والنقد	١١	١	١	١	٢	١١
المجموع	٨٥	٣٣	٧	٧٦	٣١	١٦

الجدول رقم (٢١)

التربية (مكة المكرمة) :

الأقسام	النتاج الفكري المطبوع (الكتب)			النتاج الفكري المطبوع في الدوريات (البحوث)		
	داخل	خارج	بدون	داخل	خارج	بدون
التربية الإسلامية	١	١	٩	٩	٩	٩
المناهج وطرق التدريس	٤	١	١٢	١٩	٧	٩
علم النفس	٣	–	١٠	١٧	١١	٢٨
الإدارة التربوية	–	–	٢	٢	٢	٦
التربية الرياضية	–	–	٢	–	–	٢
التربية الفنية	–	–	–	–	–	–
المجموع	٨	٢	٣٥	٤٧	٢٩	٥٤

العلوم التطبيقية :

الفيزياء	١	–	–	٣	٤٦	٣
الأحياء	–	–	١	٦	٦٧	٨
الكيمياء	–	–	–	–	٥٤	–
العلوم الرياضية	١	–	–	–	١٥	١٦
العلوم الطبية	–	–	٢	٣	١٦	–
المجموع	١	–	٣	١٢	١٩٨	٢٧

التربية بالطائف :

العلوم التربوية	٢	١	٢	٩	٦	٢
الدراسات الإسلامية	٨	٣	٢	–	–	٥
اللغة العربية	١	–	٥	–	–	–
اللغات الأجنبية	–	–	٢	٢	–	–
الأحياء	–	–	–	–	–	٢
المجموع	١١	٤	١١	١١	٦	٩

تابع الجدول رقم (٢١)

الهندسة والعمارة الإسلامية :

الأقسام	النتاج الفكري المطبوع (الكتب)			النتاج الفكري المطبوع في الدوريات (البحوث)		
	داخل	خارج	بدون	داخل	خارج	بدون
الهندسة المدنية	–	–	–	–	٣	٤
الكهربية والحاسبات	–	–	–	١	١٨	–
العمارة الإسلامية	٢	–	–	٢	٢	٦
الهندسة الميكانيكية	–	–	–	٤	٢	–
المجموع	٢	–	–	٧	٢٥	١٠
العلوم الاجتماعية :						
الجغرافيا	١٧	٢	٢	٤٢	٧	٢
اللغة الإنجليزية	٤	٤	٧	٦	١٦	٦
الخدمة الاجتماعية	–	–	–	٣	١	–
المكتبات والمعلومات	١	–	٢	٣	١	٢
المجموع	٢٢	٦	١١	٥٤	٢٥	١٠
معهد اللغة العربية :						
	١	–	–	٢	–	–

تابع الجدول رقم (٢١)

والباحث يقدم العذر لأعضاء هيئة التدريس بها لقلة الإنتاج العلمي لانشغالهم جميعًا في الأعمال الإدارية بالكلية وهذا بطبيعة الحال ينعكس سلبًا على إنتاجهم العلمي .

٥ – قسم الجغرافيا من أقدم الأقسام بالجامعة، كان سابقًا تابعًا لكلية التربية وأصبح الآن تابعًا لكلية العلوم الاجتماعية . وصل عدد أعضائه إلى ١٤ ونسبة جيدة من الإنتاج والملاحظ أنّ معظمه نشر داخل المملكة وباللغة العربية والبعض من الأعضاء ذكر البحوث التي تقدم بها في الندوات والمؤتمرات .

٦ – انحصر عدد المنتسبين في قسم الدراسات العليا بكلية الشريعة والدراسات العليا إلى أربعة أعضاء

وتخصص دقيق في الفقه المقارن ، أصول الفقه ، الفقه وأصوله ، أما تحصيلهم العلمي اثنان منهم من خارج المملكة (بريطانيا) واثنان من داخل المملكة (جامعة أم القرى) .

ويعدّ الدكتور عبدالوهاب أبو سليمان الأقدم من حيث التخرج (١٣٩٠هـ) والأغزر إنتاجًا من الكتب والمقالات والأبحاث ، وتركز إنتاجه في الفقه الإسلامي ، أصول الفقه ، ومناهج البحث والاجتماع .

٧ - جميع المتخرجين من قسم القضاء هم من جامعة أم القرى وهو أحد الأقسام المخصصة للذكور فقط.

٨ - قسم الشريعة عدد الذكور أكثر والمتخرجين داخل المملكة أكبر والمتخرجين من خارج المملكة (اثنان) .

٩ - هناك عضو بقسم الشريعة وصل إنتاجه إلى ٥ كتب ونشرت بين عامي ١٤٠٨ - ١٤١٥هـ وتخرج عام ١٤٠٤هـ . الفارق الزمني بين سنة التخرج وبداية نشر الأبحاث تراوح بين ٤ سنوات إلى ١١ سنة كما يظهر من بعض الأبحاث .

١٠- رغم خصوبة أرضية التاريخ إنتاجًا إلا أن الإنتاج الفكري لقسم التاريخ الإسلامي قليل جداً ، وما هو تحت الطبع هي رسائل الماجستير والدكتوراه أما عن التخرج فالجميع متخرج من جامعة أم القرى وفي سنوات متقاربة من ١٤٠٦ - ١٤١٣هـ أي خلال ٨ سنوات .

١١- حداثة قسم الاقتصاد الإسلامي فرض عليه قلة عدد أعضاء هيئة تدريسه وقلة الإنتاج في الوقت نفسه .

١٢- الأعضاء المتخرجون من قسم الكتاب والسنة محصورون بين عامي ١٤٠٠ - ١٤١٥هـ تخرج ٢٢ عضوًا من أصل ٢٣ في تلك الفترة .

١٣- أحد أعضاء قسم الكتاب والسنة وصل إنتاجه إلى ١٠ جميعها من دار نشر واحدة وهو متخرج عام ١٤١٣هـ ، ومعنى ذلك أنّ إنتاجه بادئ قبل نيله درجة الدكتوراه .

١٤- إنتاج قسم العقيدة كتب فقط .

١٥- هناك نسبة جيدة من العنصر النسائي مقارنة بالذكور في قسم اللغة والنحو والصرف ، ولعل ذلك يعود لقدم الدراسات العليا بالكلية .

١٦- قسم التربية الفنية والتربية الرياضية أصغر الأقسام والأكثر قابلية من الطلاب (القسمان يقدمان درجة البكالوريوس) ورغم ذلك فلا يتعدى عدد الأعضاء السعوديين في القسمين معًا على درجة دكتوراه (٧ أعضاء).

١٧- الإنتاج العلمي لقسم الفيزياء والأحياء والكيمياء ١٠٠٪ أجنبي ومنشور في دوريات خارج المملكة .

١٨- قسم العلوم الطبية كان من أقسام كلية العلوم التطبيقية وانضم الآن إلى كلية الطب والعلوم الطبية مثلها مثل كلية الهندسة كانت أحد أقسام كلية العلوم التطبيقية وأصبحت الآن مستقلة .. أبحاث أعضائه تعدّ كثيرة مقارنة بالأقسام الأخرى .

١٩- اقتصار أعضاء هيئة التدريس على الذكور فقط في قسم الجغرافيا بكلية العلوم الاجتماعية ، وكلية التربية بالطائف .

٢٠- يفتقر المتخصص في الوطن العربي خاصة إلى معرفة ما نشر في مجال تخصصه حتى يكون متابعًا لما صدر ويتم معرفة ما نشره زميله العربي أو ما نشر في الجامعات السعودية عن طريق الصدفة أو المشاركة في إحدى الندوات المتخصصة .

٢١- نجد أن الإنتاج العلمي وعدد الأعضاء لا يتوازن وأعتقد أنّ السبب في ذلك يعود إلى :

أ - انصراف العضو للأعمال الإدارية وانشغاله عن الكتابة .

ب - الكتابة النظرية تختلف كثيرًا عن الكتابة المعملية والمخبرية ، حيث أنّ عضو الأقسام العلمية يستخدم المعمل في أبحاثه ويظهر الإنتاج العلمي في وقت أفضل وأسرع ويقوم بأكثر من بحث في آن واحد ، ويعدد أقل من

الصفحات أما عضو الأقسام النظرية فيعتمد كثيرًا على القراءة والتحليل والتدقيق والكتابة، وهذا بطبيعة الحال يحتاج إلى وقت أكبر في كتابة بحث واحد .

التوصيات

١ - الاهتمام بالدراسات العليا للعنصر النسوي في الأقسام لتغطية الاحتياج الواضح ، وإذا علمنا أن كليات البنات تمنح درجة الماجستير والدكتوراه في معظم فروعها .

٢ - يجب الاهتمام من قبل عضو هيئة التدريس في التعاون مع الجهات داخل الجامعة أو خارجها بتعبئة البيانات الخاصة به من حيث السيرة الذاتية وحياته العلمية وكما هو مستنتج في تعبئة الاستمارة . ولا يمكن أن يكون الأعضاء ٣٤٠ عضوًا .

٣ - يوصي الباحث بضرورة توثيق الكتب والأبحاث وتسجيل كافة البيانات الببليوجرافية التي تعرف بالإنتاج حفظًا لحقوقهم وحتى يستفيد منها زملاؤهم بعد نيل عضو هيئة التدريس درجته العلمية وهي خاصة به ، أما إنتاجه فلا يجب إخفاؤه أو عدم إعلانه لأنّ ذلك ملك للجميع حتى تعم الفائدة في دراسات مماثلة خاصة منها المطبوع أو المنشور.

٤ - يجب التفكير من الآن في الابتعاث وخاصة في الأقسام القديمة ، وذلك لقرب تقاعد عدد لا بأس به من الأعضاء السعوديين وهذا يؤدي إلى تكوين فجوة، والتعاقد من جديد من الدول العربية .

وإذا عرف أنّ التدريس الجامعي ليس بالمعنى الكشكول أي إنّ المدرس يمكنه أن يدرس أية مادة ، هناك التخصص الدقيق يحتاج إلى متخصص .

٥ - في مجال الدراسات العليا بالجامعات السعودية ؛ فإنه لا غنى عن الابتعاث الخارجي بأي حال من الأحوال وخاصة في التخصصات العلمية كالفيزياء والكيمياء والهندسة والحاسبات وبعض التخصصات الأدبية والتربوية والاجتماعية ، أما الدراسات الشرعية واللغة العربية فأعتقد أن الدراسة الداخلية أفضل .

الهوامش والمراجع

١ - دليل كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، مكة المكرمة ، جامعة أم القرى ، ١٤٠٢ - ١٤٠٣هـ ، ص١٤ .

٢ - دليل كلية التربية بمكة المكرمة ، بمناسبة مرور أربعين عامًا على تأسيس كلية التربية بمكة المكرمة ، كلية التربية ، جامعة أم القرى ، ١٤١٣هـ ، ص١٤ .

٣ - المصدر السابق ص ١٥ .

٤ - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية في ٢٥ عامًا ، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الملك عبدالعزيز ، د . ت ، ص١٨٠ .

٥ - دليل أعضاء هيئة التدريس السعوديين ونتاجهم العلمي ، وكالة الجامعة للدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة أم القرى - مكة المكرمة ١٤١٦هـ ، ص٥٠٠ .

٦ - قواعد وإجراءات الترقية لأعضاء هيئة التدريس بالجامعة ، جامعة أم القرى ، المجلس العلمي ، ١٤١٩هـ ، ص ص٥ - ٦ .

الاستشراق بين دعاته ومعارضيه

أحمد الحسين
الحسكة - سوريا

صالح ، هاشم/ الاستشراق بين دعاته ومعارضيه .- لندن : دار الساقي ، ١٩٩٨م ، ٢٦٠ ص .

صدر هذا الكتاب عن دار الساقي، ويقع في ٢٦٠ صفحة، عرض فيه الباحث المترجم هاشم صالح جوانب مهمة من الجدل الثقافي الذي ينصبُّ في دائرة الاستشراق والمستشرقين .

وفكرة الكتاب تنطلق من ضرورة الاستماع إلى آراء أولئك المستشرقين الذين تعرضت أعمالهم لاتهامات مشرقية ، صدرت منذ الستينات، ولا تزال تبرز بين وقت وآخر .

وقد أعد الباحث هاشم صالح مجموعة من الأبحاث، والمناقشات التي كتبها بعض أعلام المستشرقين، يدافعون بها عن الاستشراق من جهة ، ويردون على ما كتبه أنور عبدالملك في مقالته «الاستشراق مأزوماً» وما طرحه إدوار سعيد في كتابه «الاستشراق» .

وقبل أن يضع تلك النصوص التي ترجمها أمام القارئ، أكد على أن موضوع الاستشراق يثير وجهات نظر متباينة، ولابد من الوقوف على عدة نقاط مهمة قبل الخوض في غمار هذا الموضوع الشائك، والصعب .

١ - لايمكن فهم المناقشة الاستشراقية أو السجال القائم من حولها بين المثقفين العرب من جهة ، والمستشرقين من جهة ثانية، إلا إذا تم وضع هذه المناقشة في إطارها العام من الصراع الكائن بين الشرق والغرب .

٢ - معركة الخطابات الاستشراقية تبدو غير متكافئة بين طرفي الصراع، ولهذا تبدو الخطابات العربية ذات طابع اجتماعي، اتهامي، في حين تبدو خطابات المستشرقين هادئة، باردة، ولكنها متغطرسة، متعجرفة .

٣ - الخطابات الاستشراقية ليست واحدة، وهي ذات منهجيات مختلفة، وفروقات متباينة، وعلى هذا الأساس، لايجوز النظر إليها من زاوية واحدة ولا الحكم عليها بمقياس واحد .

٤ - كذلك الأمر بالنسبة لخطاب المثقفين العرب إزاء الاستشراق، فهو لا يشكل كتلة واحدة ، منسجمة ؛ بل يتألف من اتجاهات متغايرة، وأحياناً متناقضة .

* فرنسيسكو غابرييلي :

بعد هذه التوطئة يورد الباحث دفاع غابرييلي المستشرق الإيطالي المشهور، ويسوق أفكاره التي دافع بها عن الاستشراق، ومنجزاته، في سياق رده على مقالة أنور عبدالملك . ورأي غابرييلي أن التهمة التي تكال للاستشراق بارتباطه مع الظاهرة الاستعمارية صحيحة في بعض جوانبها، ولكن لا يجوز أن نعمم ذلك على كل المستشرقين الذين كان بعضهم قد سار في ركاب تلك الظاهرة، ولكن بعضهم الآخر كان ينطلق من اهتمامات علمية، لاعلاقة لها بالأهداف والغايات السياسية والاستعمارية .

كما ردّ غابرييلي على التهمة الثانية التي تقول : إن المستشرقين اهتموا بماضي العرب، دون حاضرهم لغاية تهدف إلى تغييب دورهم في الحضارة المعاصرة، ويرى أن العرب أعطوا الحضارة البشرية تراثاً مشرقاً، له قيمة عظيمة، لايمكن نكرانها ولكن دورهم تضاءل في القرون الأخيرة ، ونحن لانزال كما يقول : ننتظر من

الشرق أن ينهض من جديد .

وقد عبر عن موقفه كمستشرق من حضارة العرب وتراثهم، فقال : «إنني كنت دائمًا أشعر بمدى عظمة هذه الحضارة العربية - الإسلامية، ومدى شرفها، وكرامتها بصفتها إحدى المكوّنات الشرقية لتاريخ البشرية ، وإني أرفض هذا التقييم الظالم لأعمال الأجيال المتتالية من المستشرقين، أو المختصين بمعرفة الشرق والذين لايهدفون إلى أي غرض ، أو مصلحة شخصية من وراء ذلك» .

* كلود كاهين :

وهنا يشير كاهين إلى الخدمات التي قام بها المستشرقون في نشر التراث العربي، والتعريف به . ولكنه يعترف ببعض ثغرات الاستشراق التي نجمت عن الظروف التي لازمت القضية الاستشراقية، أو أحاطت بها، ولاسيما الظاهرة الاستعمارية ولكن ذلك كما يقول : لايجوز أن يجعلنا نقع في دائرة التطرف المضاد الذي ينكر كل قيمة للأبحاث التي أنجزت ضمن ذلك المناخ .

ويؤكد كلود كاهين أن على المستشرقين أن يعيدوا النظر في تلك الدراسات التي كتبت من وحي نظرة خارجية، تعيد التوازن إلى الأمور، ويلجُ من جديد على دراسة المجتمعات الشرقية من داخلها . ويدعو الباحثين العرب ، والمشاركة إلى الاستفادة من منجزات العلوم ، والمناهج الحديثة في دراسة مجتمعاتهم بهدف الكشف عن الجوانب التي قد لايدرك المستشرقون أبعادها، ولايحسنون تصورها .

* مكسيم رودنسون :

لقد خصص هذا المستشرق مقالات عديدة دافع بها عن الاستشراق، وردّ فيها على ما طرحه أنور عبدالملك، وإدوار سعيد من اتهامات للمستشرقين .

ففي مقالته «الدراسات العربية - الإسلامية في أوربا» تحدث رودنسون عن نشوء الاستشراق، والظروف التي أحاطت بتلك النشأة، وأشار إلى مناهج المستشرقين في إطارها التاريخي - الفيلولوجي . ثم دعا إلى تطوير تلك المناهج، وإدخال مناهج جديدة كالألسنية ، والسوسيولوجية، والأنثربولوجية .

وقد اعترف ببعض ثغرات الاستشراق، ونواقصه إذ قال : «لايزال الكثير من المستشرقين سجناء الاستشراق، إنهم منغلقون على أنفسهم داخل غيتو، إن مفهوم الاستشراق ناتج عن ضرورات عملية عابرة، التقى عندها العلماء الأوربيون المتمرسون بدراسة الثقافات الأخرى، وقد تدعم هذا المفهوم بواسطة هيمنة مجتمعهم على المجتمعات الأخرى، وشوّهت هذه الحالة بقوة رؤيتهم للأشياء» .

وفي مقدمة كتابه «جاذبية الإسلام» تعرض رودنسون لما كتبه إدوار سعيد، ويعترف أن قسمًا كبيرًا من نقد سعيد يظل صحيحًا في نطاق ما يسمى بالاستشراق التقليدي، ولكنه يأخذ على بعض أفكار إدوار سعيد بأنها تقود إلى دائرة النظرية الجداثوفية، القائلة بوجود علمين متضادين، أحدهما برجوازي، والآخر بروليتاري .

ويعود رودنسون ليعترف بصعوبة الرؤية ، أي صعوبة رؤية الآخر، ويعلل ذلك في كتابات المستشرقين بأن الغرب استعمر الشرق ، وأفريقيا، وشكّل تجاه كل هذه الشعوب نظرة معينة من خلال احتكاكه بها، ومحاولته الهيمنة عليها، ومراقبته لتصرفاتها، وعاداتها، وعقائدها .

* بيرنارد لويس :

كما شارك بيرنارد لويس في الجدل الاستشراقي، فردّ في مقالة عنوانها "مسألة الاستشراق" على انتقادات إدوار سعيد، وبحث في مقالة أخرى عن وضع الدراسات المتعلقة بالشرق الأوسط، والدوافع التي أثرت في سير تلك الدراسات ، وانطلاقها وركّز في هذا الحيز على سوء الفهم الذي حمله الغرب عن الشرق ، وأنه بالتالي المسئول عن بعض الثغرات التي ظهرت في كتابات المستشرقين ، والتي تحكمت في بعض جوانبها

طبيعة الصراع الذي نشأ في العصور الوسطى بين الشرق المسلم والغرب المسيحي .

أما في معرض ردّه على أنور عبدالملك ، وإدوار سعيد فهو يرى أن كتابات هذين الباحثين اتسمت بالانفعالية، والتأثرية، وإن حملت بعض التصورات الصائبة، والتحليلات الذكية . ولكن ومن وجهة نظر لويس لايجوز الحكم على الاستشراق من خلال مرحلة ما، فالاستشراق ليس كتلة واحدة، والمستشرقون ليسوا فريقًا واحدًا ، وليست غاياتهم واحدة . وبالتالي ؛ فإن التعميم في الاستنتاج لايصح ولا يمكن أن يؤخذ به كأساس في اتهام المستشرقين الذين أعطوا الكثير من جهدهم لثقافات الشعوب الأخرى .

* آلان روسيّون :

يسعى روسيّون في تأكيد دفاعه عن الاستشراق إلى عرض مواقف المثقفين والمفكرين العرب، وهو يرى أن ثلاثة تيارات عبّرت عن تصورات هذه النخبة الفكرية إزاء المشروع الاستشراقي .

فهنالك تيار يرفض الاستشراق جملة وتفصيلاً، ويدين أعمال المستشرقين وكتاباتهم ويصفها بأنها كرست النزعة الاستعمارية ، وعبرت عن فكرة المركزية الأوربية .

أما التيار الثاني فهو يقول بضرورة قبول وتبني ما طرحه المستشرقون دون تحفظ، وكما هو بمختلف تياراته ومناهجه، والخلفيات التي تحكمت به .

في حين يتجه التيار الثالث إلى طرح رأي معتدل، من خلال بناء علاقة موضوعية في التعامل مع الإنتاج الاستشراقي تقوم على أرضية نقدية في الأخذ والتجاوز وذلك على هدي البصيرة النقدية ، والمنهج العلمي الذي يتفحص ، ويناقش ، ويتأمل . ومن خلال ذلك يخلص روسيّون إلى فكرة أساسية، وهي أن اتهام الاستشراق كما ورد على لسان أنور عبدالملك ، وإدوار سعيد لايشكل موقفًا معبّرًا عن شمولية الساحة الثقافية العربية مع تأكيده على أن التيار الثالث قد يكون الأكثر دقة وموضوعية في تقديم الجهد الاستشراقي ككل، وإعادة النظر في بنيته وفي طبيعته .

ومن هذا المنطلق أورد روسيّون اعتراضات بعض المفكرين العرب على كتاب إدوار سعيد كالذي كتبه جلال العظم في دفع كثير من آراء سعيد التي احتواها كتابه المشهور .

أما رأي روسيّون فهو أن إدوار سعيد وكما قال بيرس كمب «أغرق مركبًا كان قد غرق سابقًا» .

* محمد أركون وغوستاف غرونباوم :

يختم الباحث هاشم صالح كتابه بعرض رؤية محمد أركون لطبيعة المنهجية الاستشراقية، وذلك من خلال مقالة له عن كتاب «الإسلام الحديث» . لغرونباوم، وكتاب «في فهم الإسلام» لسميث .

وكتابات أركون لاتدخل في دائرة نقد الاستشراق ، وإدانته، ولكنها تأخذ منحى التعامل الموضوعي مع إنتاجات المستشرقين ، على نحو يبرز إيجابياته، و ينقد سلبياته في إطار مواجهة إيجابية، تقوم على الحوار، والنقاش، وتبادل الرأي .

وبعد ؛ فهذا الكتاب منبر للحوار ، يتسع للرأي، والرأي الآخر، وقد حرص الباحث هاشم صالح من خلاله على طرح المسألة الاستشراقية في أبعادها الواسعة، وأتاح بذلك للقارئ العربي أن يقف على جدل الاستشراق، وما يثار في مداراته من تساؤلات ، واتهامات، وما ينهض من آراء طرحها المستشرقون دفاعًا عن إنتاجهم وجهودهم، وغاياتهم، وأهدافهم .

والكتاب بحد ذاته دعوة مفتوحة للحوار، والنقاش بهدف تصويب وتصحيح حالات سوء الفهم المشترك، وبلوغ مرحلة من التفاهم تكون السبيل إلى ردم الهوة القائمة، وبناء جسر من العلاقات المتوازنة الإيجابية بين الثقافة العربية ، والثقافات الأوربية .

ديوان الإمام عبدالله بن المبارك

ورد محمدي مكاوي عزب
الأستاذة المساعدة بجامعة الملك فيصل

عبدالله بن المبارك المروزي / ديوان الإمام عبدالله بن المبارك ؛ جمع وتحقيق ودراسة مجاهد مصطفى بهجت .- المنصورة : دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٨٧م .

اسم الشاعر ونسبه : هو أبو عبدالرحمن عبدالله بن المبارك بن واضح الحنظلي التميمي ، كان أبوه عبداً لرجل من التجار من همذان من بني حنظلة وكان تركياً ، وكانت أمه خوارزمية (١) .

مولده : ولد ابن المبارك سنة ثماني عشرة ومئة للهجرة (٢) – على الأرجح – وكان مولده في مدينة مرو (٣) بخراسان .

ديوانه : جُمِعَ ديوان ابن المبارك مرتين ، وكان لعبدالمجيد المحتسب فضل السبق في ذلك ؛ فقد جمع نصوصه الشعرية، وقام بنشره عام ١٩٧٢م (٤) ، ثم أعاد جمعه وتحقيقه ونشره مجاهد مصطفى بهجت عام ١٩٨٧م (الطبعة الأولى) (٥) ، ولقد أجمل بهجت في مقدمة طبعته الأولى الأسباب التي دفعته لإعادة جمعه وتحقيقه فيما يأتي :

١ – مجموع النصوص الشعرية التي جمعها (المحتسب) لابن المبارك هو سبعة وعشرون نصاً تقع في واحد وتسعين بيتًا ، جاءت مرقمة حسب القوافي ... وهذا المنهج في الترقيم غير مألوف إذ كان ينبغي أن تأتي النصوص على نسق واحد، كما أن جمعه لم يقم على أساس الاستقراء والاستقصاء الدقيق للمصادر المطبوعة ، ولم يتيسر له الرجوع إلى بعض المخطوطات التي احتجنت شيئًا من شعره ، لذلك جاءت محاولته غير كاملة تجمع دون ثلث نصوصه الشعرية .

٢ – خلط (المحتسب) النصوص الثابتة النسبة للشاعر بغيرها التي تنسب له ولغيره ، وقد فاته نسبة القطع لغير ابن المبارك .

٣ – لم يخرّج (المحتسب) النصوص تخريجًا واسعًا من المصادر والمظان المعروفة .

٤ – وقع (المحتسب) في بعض الأوهام عند تحديد أوزان القصائد وبحورها .

أما عن المنهج الذي انتهجه بهجت في جمع نصوص ابن المبارك وتحقيقها وترتيبها فكان، وكما يقول(٦) وفق المألوف في المنهج العلمي القائم على تتبع القوافي بنسق حروف المعجم ابتداءً من الروي الساكن ، ثم المفتوح ، فالمضموم ، فالمكسور ، ويلحق بكل قافية ما يسند إليها من الضمائر . وقد فرق بهجت بين الشعر الثابت النسبة لابن المبارك والشعر المنسوب إليه وإلى غيره فجعل لكل قسمًا خاصاً به، وقد جعل لكل نص رقمًا مسلسلاً ، وجعل لكل بيت من القصيدة أو القطعة رقمًا متسلسلاً ، وذكر المناسبة التي وردت بالمصادر مقترنة بالأبيات ، وذكر وزن الأبيات وبحورها ، وقد ضبط النص بالشكل قدر استطاعته وإن كانت هناك بعض الأخطاء ربما تكون مطبعية ، وشرح بعض المفردات، ولقد جعل للديوان هامشين أولهما لتخريج الأبيات من المصادر والمظان وثانيهما لبيان اختلاف الروايات . وقد اعتمد بهجت على مصادر متنوعة مخطوطة ومطبوعة من كتب الطبقات والتراجم منها التاريخي ومنها

بُغْضُ الحَيَاةِ وَخَوفُ اللهِ أخرَجَني
وَبَيعُ نَفسي بِمَا لَيسَتْ لَهُ ثَمَنَا
إنّي وَزَنتُ الذي يَبقَى ليَعدلَهُ
مَا لَيسَ يَبقَى فلا واللهِ مَا اتّزَنَا

ولكن ما الذي دفع ابن المبارك لاتخاذ هذا الموقف المتشدد من الدنيا ؟ إنه الخوف فقد سيطرت فكرة الموت على فكره سيطرة بالغة فالكل فانٍ ، والإنسان مهما امتد به العمر سيأتي يوم ولابد أن يتجرع فيه كأس الموت ، والقارئ لشعر ابن المبارك يشعر بأن أنغام قصائده ترتعد عندما يقف متأملاً لتلك الحقيقة المفزعة التي جثمت فوق صدره وآلت ألا تفارقه ، فيطالعنا الخوف والاضطراب والفزع من الموت وما يتبعه من بعث ونشور وحساب وعذاب ، وبمعنى أشمل الخوف من الله عز وجل في كل زاوية من زوايا ديوانه ، وصدق الله العظيم ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ (١٧) .

وها هو ذا يأمر بالوقوف بدار المترفين وسؤالهم لأخذ العظة أين من سبقوهم من أصحاب المدائن والقرى ؟ وأين الملوك الذين تمتعوا بكل نعيم الدنيا ؟ فها هي ذي ديارهم، وقد خلت منهم تشهد بأنهم صاروا للفناء ، يقول (١٨) :

ألا قِف بدارِ المترفينَ وقُل لهم :
ألا أينَ أربابُ المدائنِ والقرى ؟
وأينَ الملوكُ الناعمونَ بغبطةٍ
ومَن عانقَ البيضَ الرعابيبَ كالدُّمَى ؟
فلو نطقتْ دارٌ لقالت ديارُهُمْ
لكَ الخيرُ صاروا للترابِ وللبلى
وأفناهم كرُّ النهارِ وليلِه
فلَمْ يبقَ للأيامِ كهلٌ ولا فتى

ويعبر عن المعنى نفسه في ثوب آخر من الألفاظ قائلاً (١٩) :

كَمْ بِبطنِ الأرضِ ثاوٍ   مِن شَريفٍ ووَزِيرِ
وصَغيرِ الشأنِ عَبدٍ   خَامِلِ الذكرِ حقيرِ
لَمْ نُميزْهُمْ ولَم نَعـ   ـرِفْ غَنيًا مِن فَقيرِ
خَمَدُوا فَالقومُ صرعَى   تَحتَ أسقافِ الصُّخُورِ
أينَ فرعونُ وهامَا   نُ ونمرودُ النُّسورِ

فكم من شريف ووزير ، وعبد وحقير ، يسكنون بطن الأرض لم نستطع تمييزهم ، ولم نعرف غنيهم من فقيرهم، وأين الجبابرة فرعون وهامان ونمرود ؟

وابن المبارك دائم الحديث عن الموت يصوره بمختلف الصور يقول (٢٠) :

يا أيها النـاس أنتم عُشُبٌ
يحصدهُ الموتُ كلّما طَلَعَا

مستخدمًا النداء «يا أيها» وكأنه جرس شديد الرنين يقرع به آذان الناس لينبههم إلى الحقيقة المؤلمة التي صورها أمامنا ، فالناس كالعشب في ضعفهم والموت لهم بالمرصاد يحصدهم كلما ظهروا .

ويعبر ابن المبارك عن خوفه ودهشته من هؤلاء الذين تقر أعينهم ويستلذون طعم النوم أو حتى يستطيعون الهجوع رغم أن الموت ينذرهم جهراً، والمصير مجهول فلا يدري المرء هل الجنة مثواه أم الجحيم هي المأوى ؟ وابن المبارك يغبط الطير والحيوان والأسماك لأنها لن تعذب في الآخرة ، ويصور لنا بعض المشاهد المفزعة ليوم القيامة مشهداً تلو الآخر مستعينًا بالقرآن الكريم ، فيصف النشور وساعة الحساب وشهادة الجلود والأبصار والأسماع ، وشهادة النبيين وخشوع كل المخلوقات ، وتطاير الصحف وعذاب أهل النار الذي لا مهرب منه يقول (٢١) :

وكيف قرّتْ لأهلِ العلمِ أعينهم
أو استلذّوا لَذيذَ النومِ أو هَجَعُوا
وَالموتُ يُنذرُهم جَهرًا علانيةً
لَو كانَ للقومِ أسماعٌ لَقَد سَمِعُوا
وَالنارُ ضاحيةٌ لا بُدَّ مَوردُهُم
وَليسَ يَدرُونَ من يَنجُو ومن يَقَعُ

قد أمسَت الطَّيرُ والأنعامُ آمنةً
وَالنُّونُ في البَحرِ لَمْ يُخْشَ لها فَـزَعُ
والآدَمي بِهَـذا الكسبِ مُرتَهَـنٌ
لـه رقيب علـى الأسـرارِ يَطَّلِـعُ
حتى يوافيه يـوم الجمع منفردًا
وخَصمهُ الجِلدُ والأبصَارُ والسَمعُ
إذ النَبيُّـونَ والأشـهَـادُ قائمـةٌ
والإنسُ والجِنُّ والأملاكُ قد خشعُـوا
وَطَارَت الصُّحُفُ في الأيدي منشرةٌ
فيـها السَّـرائِرُ والأخـبارُ تُطَّـلَـعُ
يَـوَدُّ قَــومٌ ذَوو عــزٍّ لو انهُـمُ
هُمُ الخَنَازيرُ - كي يَنجُو - أو الضَّبُعُ
كَيـفَ شُـهُودُكَ والأنـباءُ وَاقِعـةٌ
- عَمَّا قَليل - وَلا تَـدري بمَا يَقَـعُ
أفي الجِنانِ وَفَوزٍ لا انقِطَـاعَ لَهُ
أم الجَحِيمِ فَمَا تُبقِـي ولا تَـدعُ
تَهوِي بِهَلكَاتِها طَورًا وَترفَعُهُم
إِذَا رَجَوا مَخرجًا مِن غَمِّها وَقَعُوا

ويعـجـب ابن المبـارك من بكاء الناس مـوتـاهم ، فالأجدر بهم أن يأخذوا العظة ويبكوا على أنفسهم لأن المصير واحد، يقول (٢٢) :

أرَى الناسَ يَبكُونَ مَوتاهمُ !
وَمَا الحَيُّ أبقَى من المَيتينَا
فإن كُنتِ تبكينَ مَنْ قد مضَى
فَبَكّي لِنفسكِ في الهَالكِينَا
وَبَكّي لنفسِكِ جَهدَ البُكَـا
إذا كُنتِ تبكيـن أو تَغفلِينَا
فـإن السَّبيلَ لكم واحـدٌ
سيتّبِـعُ الآخِـرُ الأولينَـا
فَنَادي قُبورَكِ ثم انظُـري
مَصَارِعَ أهلِكِ والأقرَبِينَـا
إلى أينَ صَارُوا وماذا لَقُوا ؟
وكَانُوا كَمثلِكِ في الدُورِ حِينَا

ثانيًا : الدعوة للتقوى والزهد والجهاد في سبيل الله .

ولما كان الأمر جللاً ، فلابد من اللجوء إلى الله سبحانه ، فيتوجه ابن المبارك إلى الله أن يمنحه حلمًا ويمنحه عـزمًا على التقى ، فالتقى أسمى ما يُفْتَخَرُ بـه ، وهو السبيل للخروج من الدنيا نقيًا من الخطايا، يقول (٢٣) :

فَيَارَبُّ هَلْ لي مِنـكَ حِلمًا فإنَّني
أرى الحِلمَ لَمْ يَندَمْ عَليهِ حَليمُ
ويَا رَبُّ هَبْ لي مِنكَ عَزمًا على التُّقى
أُقِيمُ به في النـاسِ حيثُ أقيمُ
ألا إنَّ تَقـوى اللهِ أكـرمُ نسبةٌ
يُسامِـي بِهَا عِندَ الفَخارِ كَريمُ
إذا أنتَ نافستَ الرِّجَالَ على التُّقَـى
خَرجـتَ مِنَ الدُّنيا وأنت سَليمُ

وفي البيتين الأخيرين ترغيب ودعوة إلى التقوى فهي طوق النجاة .

ويرى ابن المبارك أن اللذة الحقيقية في العبادة والتقى لا في الخمر ، فبهما تقر الأعين طوال الحياة ، وهما زادا الآخرة، يقول (٢٤) :

تَنَعمَ قَومٌ بالعبادَةِ والتـقَـى
ألَذَّ النَّعِيـمِ ، لا اللَّذاذَةَ بالخَمـرِ
فقرَّتْ بِهِ طُولَ الحياةِ عُيونُهُمْ
وكَانتْ لهم - واللهِ - زَادًا إلى القَبرِ

واستخدم قرت عيونهم للدلالة على الاطمئنان والرضا، وأقسم بالله للتأكيد ، وفي ذلك ترغيب في العبادة والتقى .

ويرسم لنا شاعرنا من خلال وصفه لجماعة من العابدين نموذجًا رائعًا للعبادة يجدر بنا أن نحتذيه ، فهم يسهرون الليل راكعين ساجدين قد أطار خوف الله النوم من عيونهم ، ويعقد مقابلة في غاية الحسن بين هؤلاء العابدين الذين يخشون ربهم خشية حرمتهم النوم والشعور بالاطمئنان وغيرهم ممن يعيشون في بلهنية فينامون ملء جفونهم ، وهؤلاء

العابدين الأتقياء تسمع أنين بكائهم وهم ساجدون؛ ذلك الأنين الذي يخرج حاراً محطمًا للضلوع، أما في أثناء النهار فهم صامتون سكينة وخشوعًا، ذلك الصمت المطبق الذي عُبِّر عنه بلفظة «خرس» بما تحمله من شحنات إيحائية، والذي يُعدُّ من أروع ألوان العبادة، يقول (٢٥):

إذا ما اللَّيلُ أظلَمَ كَابَـدُوه
فيسفرُ عَنهُم وَهُــم رُكـوعُ
أطَارَ الخَوفُ نَومَهُم فَقَامُوا
وَأهلُ الأمنِ في الدُّنيا هُجُوعُ
لَهُمْ تَحتَ الظَّلامِ وهُمْ سُجُودٌ
أنِينٌ منـه تَنفَـرِجِ الضُّلُوعُ
وَخُرسٌ بالنَّهار لِطُول صَمْتٍ
عَلَيهِمْ مِنْ سَكِينَتِهم خُشُـوعُ

ويدعو ابن المبارك إلى طاعة الله وهجر المعاصي، يقول (٢٦):

أيَضْمَنُ لي فَتًى تَرْكَ المَعَاصِي
وَأرهَنُهُ الكَفَالَــةَ بالخَـلاصِ؟
أطَاعَ اللّهَ قَـومٌ فاستَراحُـوا
وَلَمْ يَتَجرعُوا غُصَصَ المَعاصِي

وهو دائم الدعوة إلى جهاد النفس بالزهد والتقشف، فيحث على التماس الحلال من الرزق ولو كان يسيرًا؛ لأن في ذلك النجاة من نار السعير، يقول (٢٧):

كُلْ مِن الجَارُوشِ والرُّزْ ... زِ ومِن خُبْزِ الشعيرِ
وَاجْعلَنْ ذَاكَ حَــلالاً ... تَنْجُ مِن نَارِ السَّعِيرِ
وَارْضَ يَا وَيحكَ من دُنْـ ... ـياكَ بالقُوتِ اليَسِيرِ

والزهد عند ابن المبارك ليس مظهرًا خارجيًا يكمن في لبس الصوف وإطالة الشعور كالمجانين، بل هو في العمل الصالح الذي ينفع صاحبه يوم الحساب، يقول (٢٨):

نر التَّزَيّنَ فِي دُنْيَاك بالدينِ
وَاعْمَلْ لِيَوْمِ تُجَازَى بالموازِينِ
لَيسَ اللّبَاسُ لُبَاسُ الصُّوفِ مِنْ عَمَلٍ
ولا لأخذِكَ شعرًا كالمَجَانـينِ
هذا اللُّباسُ مع الرُّهْبَانِ في شَعَثٍ
فَهَلْ تَـراه نَجَاةً للرَّهَابـينِ

ولقد أتى الشاعر باستفهام إنكاري يفيد النفي، فهل ارتداء الرهبان لهذا الزي وإطالة شعورهم سينجيهم من النار؟

ولم يكن الخوف الذي حاصر ابن المبارك من كل صوب بالذي يجعله عاجزًا منطويًا على نفسه، بل كان إيجابيًا يدفع المرء للعمل والجهاد من أجل الفوز والنجاة، فمفهوم الزهد عنده لم يكن الإعراض عن الدنيا ولبس الصوف وإطالة الشعر، والاكتفاء بلوم النفس وتقريظها والقسوة عليها، فنراه يوجه النداء إلى المتنسك الذي لبس الصوف وعُدَّ من العُبَّاد ولزم بغداد يأمره بالجهاد فالزُّهاد بحق يحمون الثغور، يقول (٢٩):

أيُّهَا القَارِئُ الذي لَبِسَ الصُّو
فَ وَأضحَى يعَدُّ في العُبَّادِ
الزَمِ الثَّغرَ والتَّعَبُّـدَ فيـه
لَيسَ بَغْدَادُ مَوضِعَ الزُّهـادِ

ويرى ابن المبارك أن الجهاد في سبيل الله هو أفضل العبادات، فيروى أنه بعث برسالة شعرية وهو بثغر من ثغور الروم - طرسوس - إلى الفضيل بن عياض الناسك المشهور وكان معتكفًا بالحرم المكي يقول فيها (٣٠):

يَا عَابدَ الحَرَمَيْنِ لَوْ أبصَرْتَنَا
لَعلِمتَ أنَّك في العِبَادةِ تَلْعَـبُ
مَنْ كَانَ يَخْضِبُ خَدَّه بدمُوعِه
فَنحورُنَا بِدِمَائنا تَتَخَـضَّبُ
رِيحُ العَبِيرِ لَكُمْ وَنَحنُ عَبِيرُنَا
رَهَجُ السَّنَابِكِ والغُبَارُ الأطْيَبُ
وَلَقَد أتَانَا مِـنْ مَقَالِ نَبِيِّنَـا
قَولٌ صَحِيحٌ صَادِقٌ لا يَكْـذِبُ

لا يَستَوي غُبَارُ خَيلِ اللهِ فـي
أنفِ امرئٍ ودُخَانُ نارٍ تَلْهَـبُ
هَذَا كِتَابُ اللهِ يَنْطِقُ بَيْنَنَا :
- لَيسَ الشَّهِيدُ بِمَيِّتٍ - لا يَكْـذِبُ

فـالاعـتكـاف بالحـرمين الشـريفين في نظـر ابن المبارك يُعَدُّ لعبًا لو قورن بالجهاد في سبيل الله ، ولقد برع في رسـم الصورة وعقد تلك المقارنة ، فـالعابد يتقرب إلى الله بدمـوعه متطـيبًا بالعبيـر ، ولكن المجاهد يتقرب بدمه متطيبًا بغبار المعارك ، ثم يدلك على فضل الجهاد والمجاهدين والشهداء مستنيراً بقول الرسول ﷺ : «لا يجتمع غبـار فـي سـبيل الله ودخـان جـهنم فـي جـوف عبد أبداً» (٣١) ، ويقول الله تعالى : ﴿ولا تقولوا لمن يقـتل في سبـيل الله أمـوات بل أحـيـاء ولكن لا تشعرون﴾(٣٢) . فلمـا وصلت الرسـالة ابـن عيـاض وهـو فـي الحـرم قـرأهـا فـزرفت عيناه ، ثم قـال : صـدق أبو عبدالرحمن ونصح (٣٣) .

ويحرض ابن المبارك المؤمنين على الجهاد مستفزاً إياهم ، فكيف يستقـر مسلم ويهدأ له جفن والمسلمات أسيرات عند العدو لا يستطعن دفع الفضيحة ولا حول لهن ولا قوة، يقول (٣٤) :

كَيفَ القَرَارُ وَكَيفَ يَهدى مُسْلِمٌ
والمُسْلِمَاتُ مَعَ العَدُوِّ المُعْتَدِي
الضَّـارِبـاتُ خُدُودَهُـنَّ بِرَنَّـةٍ
الدَّاعِيـاتُ نَبِيَّـهُـنَّ مُحَـمَّـدِ
القَائِلاتُ إذا خَشِينَ فَضِيحَةً
جهدَ المَقَالـةِ لَيْتَنا لم نُـولَـدِ

ثالثًا : مديح العلماء والصالحين .

اقتصر مديح ابن المبارك على العلماء والصالحين ، فنراه يمدح الإمام أبا حنيفـة النعمان بالنباهة والخير وغزارة العلم ونفاذ البصيرة ، فهم خير خلف لحماد بن أبي سليمان، يقول (٣٥) :

رَأيتُ أبَا حَنيفَـةَ كُـلَّ يَـومٍ
يَزِيدُ نَبَاهَةً وَيَزِيـدُ خَيـرَا
يُقَايِسُ مَنْ يقايسـهُ بِلُـبٍّ
فَمَن ذا يَجْعَلُون لَهُ نظيـرَا
كَفَانَا فَقْـدَ حَمَّـادٍ وَكَانَـتْ
مُصِيبَتُـنا بـه أمْرًا كَبِيـرَا
رأيتُ أبَا حَنيفَةَ -حِينَ يُؤتَى
وَيُطْلَبُ عِلْمُهُ - بحرًا غَزِيرَا

ويمدح الإمام مالك بن أنس بالحكمة والوقار والبلاغة والإبداع ، فهو صموت إذا لزم الأمر ، مفجر للمعاني البكر إذا تحدث، يقول (٣٦) :

صَمُوتٌ إذا ما الصمتُ زَيَّنَ أهلَهُ
وَفَتَّاقُ أبكَارِ الكـلامِ المُخَتَّـمِ
وَعَى ما وَعَى القرآن مِنْ كُلِّ حِكمَةٍ
وَسِيطَتْ له الآدابُ باللَّحمِ والدَّمِ

ويمدح ابن المبارك مسعر بن كدام وهو أحد ثقاة أهل الحديث، يقول (٣٧) :

مَنْ كان مُلْتَمِسًا جَلِيسًا صَالِحًا
فَلْيَأتِ حَلقَةَ مِسعَرِ بن كِدَامِ
فيها السَّكِينَةُ والوقارُ وأهلُهـا
أهـلُ العَفَـافِ وَعِلْيَةُ الأقوَامِ

فهو جليس صالح وحلقته كلها سكينة ووقار وأهلها من الصفوة الأخيار .

رابعًا : الهجاء .

فكما لم يمتدح ابن المبارك أحداً إلا في الله فلم يهج أيضًا أحدًا إلا في الله، فنراه يقرع آكلي أموال اليتامى، فجعلهم ذئابًا في ثياب بشر، وشبههم بالعقاب في اقتناص فريسـتـه ووصـفـهم بالتـصنع والتـمـثيل وبخراب الذمة والضمير، يقول (٣٨) :

يا عُـدُولَ البـلادِ أنتُـم ذئـابٌ
سَتَرتكُم عن العُيُـونِ الثِّيابُ
غير أنَّ الذِّئابَ تَصطَادُ وَحْشًا
وعبا أتُهـا القـفـارُ اليَبَـابُ
وَيَصِيدُ العُدُولُ مَـالَ اليَتَامَـى
باقْتِنَاصٍ كما يصيد العُقَابُ

عمروا موضع التصنع منهم

ومحل الإخلاص منهم خراب

واستخدم صيغة المبالغة (عدول) وكررها للسخرية والتوبيخ .

ولما وَلِّيَ إسماعيل بن علية – أحد أئمة الحديث – الصدقات، كتب إليه ابن المبارك موبخًا إياه إذ اتخذ من الدين وسيلة للاستيلاء على أموال المساكين، وأثر الدنيا على الآخرة وفُتِنَ بها بعد أن كان دواء لعشاقها ، وينهاه عن بيع الدين بالدنيا كما يفعل أهل الضلال من الرهبان ، ويذكره برواياته عن ابن عون وابن سيرين ويذكره أيضًا بحديثه عن ضرورة البعد عن أبواب السلاطين ، ثم ينهي أبياته بتهكم وسخرية لاذعة، يقول (٣٩) :

يا جَاعِلَ الدِّينِ لـه بَـازِيًا

يَصيدُ أمـوالَ المَساكِـينِ

احتلـتَ للدُّنيـا ولَذَّاتِـها

بحيـلةٍ تذهـبُ بالديـنِ

وَصِرتَ مَجنُونًا بِهَا بَعدَمَا

كنـت دَواءً للمجـانـيـنِ

لا تبع الدِّينَ بدُنيَـا كَمَـا

يَفْعـلُ ضُـلالُ الرُّهَـابِـينِ

أينَ رِوَايَاتُكَ فيمَا مَضَـى

عَن ابن عَونٍ وابن سيرين ؟

أين أحاديثُك والـقولُ فِي

لُزُومِ أبوابِ السَّلاطِـينِ ؟

تقولُ : أُكرِهتُ وماذا كَـذَا

زَلَّ حِمَارُ العِلمِ في الطِّـينِ

خامسًا : تضمين الحكم .

لا يخلو شعر ابن المبارك من الحكم البالغة، ومن تلك الحكم ما كتبه إلى علي بن بشر المروزي، يقول (٤٠) :

كُلُّ العَدَاوَةِ قَد تُرْجَى إِمَاتَتُـهَا

إلاَّ عَدَاوَةَ مَنْ عَادَاكَ مِنْ حَسَدِ

فَإِنَّ في القَلبِ مِنْهَا عُقْدَةً عُقِدَتْ

وَلَيسَ يَفْتَحُهَا راقٍ إلى الأبَـدِ

إلا الإلهُ فإنْ يَرْحَمْ تُحَلُّ بِهِ

وَإِنْ أَبَاهُ فَلاَ تَرْجُوهُ من أحَدِ

فكل العداوات يمكن إماتتها وانتهاؤها إلا العداوة الناتجة عن حسد ، فإنها تدوم ولا تزال إلا إذا رحم الله فهو الواحد القادر على ذلك .

ويسوق ابن المبارك لنا حكمة أخرى ، فيرى أن العبد هو عبد شهواته يقول (٤١) :

العَبدُ عبدُ النَّفْسِ في شَهَوَاتِها

وَ الحرُّ يَشْبَـعُ مَرَّةً ويَجُـوعُ

ويرى ابن المبارك أن اللسان يعكس ما في القلب وهو مفتاح شخصية المرء يقول (٤٢) :

وإنَّ اللســـانَ بريـدُ الفُـؤادِ

دَليـلُ الرِّجَـالِ علـى عَقْلِـهِ

وينبهنا إلى أن من نظر إلى من هو أقل منه رزقًا أحس بالنعمة والسعة يقول (٤٣) :

يَضيقُ صَدْرُ الفَتَى بحاجَتـه

وَمَنْ تَفَسَّى بِدُونِـــهِ اتَّسَعَا

والغِنَيُّ الحقـيـقي عند ابن المبـارك هو الرجل القنوع، يقول (٤٤) :

مَا ذَاقَ طَعمَ الغِنَى من لا قَنُوعَ لَهُ

وَلَنْ ترى قَانِعًا مَا عَاش مُفْتَقِرًا

والـقناعـة خـلق حـسن يرفـع مـن شـأن الكثيرين، يقول (٤٥) :

لِلّهِ دَرُّ القُنُـوعِ من خُلُقٍ !

كَمْ مِنْ وَضيعٍ بِهِ قَد ارتَفَعَا ؟!

وليست القناعة وتخلق الإنسان بها في نظره أمرًا ميسورًا ، فقلة من الناس هم الذين يرضون بما قسم الله لهم ، أما الكثرة فتعاني من داء الجشع وحب الرياسة ، وهذا داء لا دواء له ولا يرجى منه شفاء يقول (٤٦) :

حُبُّ الرِّيَاسَةِ دَاءٌ لا دَوَاءَ لَهُ

وَقَلَّمَا تَجِدُ الرَّاضِينَ بالقِسمِ ! !

ويرى ابن المبارك أن اقتراف الذنوب يميت القلوب ، فيتعود المرء عليها ويدمنها ويصبح أسيراً ذليلاً لها لا يستطيع منها فكاكًا ، فالأجدر به أن يحيي قلبه بتركها ، وخير له أن يعصي هوى نفسه يقول (٤٧) :

رَأيتُ الذُّنوبَ تُميتُ القُلوبَ
وَيُتبِعُها الذُّلُّ إدمانُها
وَتَركُ الذُّنوبِ حَياةُ القُلوبِ
وَخَيرٌ لِنَفسِكَ عِصيانُها

والمعروف نهايته خير ، وهو لا يضيع حتى ولو فعلته في حجر لا يحس يقول (٤٨) :

والعُرفُ مَنْ يَأتِهِ تُحمَدُ عَوَاقِبُهُ
مَا ضَاعَ عُرفٌ وإنْ أَولَيْتَهُ حَجَرَا

سادسًا : المعارضة الشعرية .

لابن المبارك قصيدة يعارض فيها الخارجي - عمران ابن حطان - تتكون من أربعة وعشرين بيتًا ، ينبذ فيها الخلافات بين الأحزاب السياسية المتصارعة ، ويوضح فيها فضل الخلفاء الراشدين الأربعة مؤكداً حبه وإخلاصه وولائه لهم ولغيرهم من الصحابة دون تحيز لشخصية بعينها ، فالعقيدة السليمة في اتحاد المسلمين واعتصامهم بحبل الله لا في الانقسام والتمزق واللجوء للبدع والضلالات، يقول (٤٩) :

إني امْرُؤٌ لَيسَ في ديني لِغَامِزَةٍ
لِينٌ ولَستُ على الأسلافِ طَعَّانَا
فلا أسبُّ أبا بكرٍ ولا عُمَرا
ولا أسبُّ - معاذ الله - عثمانا
ولا ابن عَمِّ رَسُولِ اللهِ أشتمُهُ
حَتَّى أُلَبَّسَ تحتَ التُّرْبِ أكفَانَا
ولا الزُّبيرَ حَوَاريَّ الرَّسُولِ ولا
أُهدي لِطَلحَةَ شَتْمًا عَزَّ أو هَانَا
ولا أقولُ عَلِيٌّ في السَّحابِ لقد
واللهِ قُلتُ إذًا جَورًا وعُدوانا
إني أُحبُّ عَلِيًّا حُبَّ مُقتصِدٍ
ولا أرى دُونَهُ في الفضلِ عُثمَانَا
ما يَعلَمُ اللهُ مِنْ قَلبي مُشَايَعَةً
لِلمُبغِضينَ عَلِيًّا وابنَ عَفَّانَا
ولا أرى حُرْمَةً يومًا لِمُبتَدِعٍ
وهنًا يَكونُ لَهُ مِنِّي وَأوهَانَا
ولا أقولُ بِقَولِ الجَهمِ إنَّ لَهُ
قولاً يُضَارِعُ أهلَ الشكِّ أحيَانا
لَكِنْ على مِلةِ الإسلامِ لَيسَ لنا
اسمٌ سواهُ بِذاكَ اللهُ سَمَّانَا
إنَّ الجماعةَ حَبلُ الله فاعتصِمُوا
بِهَا هِيَ العُروةُ الوثقَى لِمَنْ دَانَا

فالشاعر يكره أشد الكره التطاول على الخلفاء والصحابة كما تفعل بعض الفرق ، حيث تتعصب لخليفة دون آخر ويقر ببطلان زعم بعض فرق الشيعة المغالية في أن سيدنا علي - كرم الله وجهه - قد أسكنه عز وجل السحاب، وأنه سوف يرجع ليخلص أتباعه من الظلم والاضطهاد ، ويؤكد أن حبه لعلي - كرم الله وجهه - حب متعقل، فلا فرق بينه وبين سيدنا عثمان - رضي الله عنه - ويتبرأ من المبغضين لهما ويكفر الجهمية .

وهكذا ؛ نرى أن ثقافة ابن المبارك وعلمه قد أثرا في شعره تأثيرًا واضحًا سواء أكان ذلك من حيث نظرته الثاقبة لمفهوم الزهد ، الذي لا يعني مظهراً خارجياً فحسب ، بل هو شيء ينبغي أن يمس الجوهر وتنطبع به أفعال البشر ، أو من حيث نبذه للخرافات والبدع والانقسام والتمزق المذهبي ودعوته إلى تجمع إسلامي انطلاقًا من قوله تعالى ﴿واعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا ﴾ (٥٠) ، هذا بالإضافة إلى شيوع المعاني القرآنية في كثير من أبياته لفهمه الواعي للقرآن الكريم ، الذي انعكس بالتالي على لغته ، حيث تدفقت كينبوع صافٍ تسري خلال أشعاره في سهولة ويسر مع احتفاظها برصانتها وجزالتها .

الهوامش والمصادر والمراجع

١ – انظر ترجمته في : تهذيب الأسماء واللغات ، أبو زكريا النووي ج١ ، ص٢٨٥ ، ط المنيرية ، مصر؛ تذكرة الحفاظ : شمس الدين محمد ابن أحمد الذهبي، ج١ ، ص٢٥٣ ، ط حيدر أباد ؛ تهذيب التهذيب : ابن حجر العسقلاني ، ج٥ ، ص٣٨٣ – ٣٨٤ ، ط دار صادر بيروت ؛ وفيات الأعيان : أحمد ابن محمد بن خلكان ، تحقيق إحسان عباس ، ج٣ ، ص٣٢ وما بعدها ، ط دار الثقافة ، بيروت؛ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة : ابن تغري بردي ، ج٢ ، ص١٠٣، ط المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة ، ١٩٦٣م ، تاريخ بغداد : الخطيب البغدادي، ج١٠، ص١٥٣ ، ط السعادة – الخانجي بمصر ١٩١٣م .

٢ – تهذيب الأسماء واللغات : النووي، ج١ ، ص٢٨٦ ؛ تهذيب التهذيب : العسقلاني، ج٥ ، ص٣٨٦ ؛ وفيات الأعيان : ابن خلكان، تحقيق إحسان عباس ، ج٣ ، ص٣٤ .

٣ – وفيات الأعيان : ابن خلكان، تحقيق إحسان عباس ، ج٣، ص٣٤.

٤ – عبدالله بن المبارك المروزي : عبدالمجيد المحتسب ،– ط وزارة المعارف والمقدسات الإسلامية ، عمان ، الأردن، ١٩٧٢م .

٥ – ديوان الإمام عبدالله بن المبارك: جمع وتحقيق ودراسة، مجاهد مصطفى بهجت ،– ط١ ،– المنصورة : دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٨٧م .

٦ – المصدر السابق ، ص٧ ، ط١ .

٧ – سورة الذاريات ، آية ٥٦ .

٨ – ترتيب المدارك : القاضي عياض ، تحقيق أحمد بكير محمود ، ج١ ، ص٣٠٩ ،– ط بيروت .

٩ – تذكرة الحفاظ : الذهبي ، ج١ ، ص٢٥٤ .

١٠– تاريخ بغداد : البغدادي ، ج١٠، ص١٥٥ .

١١– المصدر السابق ، ج١٠، ص١٦٥.

١٢– المصدر السابق ، ج١٠، ص١٦٢ – تذكرة الحفاظ : الذهبي، ج١، ص٢٥٦ .

١٣– ديوان الإمام عبدالله بن المبارك: جمع وتحقيق ودراسة، مجاهد مصطفى بهجت، ق١٦ ،– ط٣ ،– المنصورة : دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٩٢م .

١٤– المصدر السابق ، ق٣١ ، ط٣ .

١٥– السابق ، ق ٤٣ ، ط٣

١٦– السابق ، ق ٤٢ ، ط٣ .

١٧– سورة فاطر ، آية ٢٨ .

١٨– ديوان الإمام عبدالله بن المبارك، ق ١ ، ط٣ .

١٩– المصدر السابق ، ق ١٦ ، ط٣ .

٢٠– السابق ، ق٢٢ ، ط٣ .

٢١– السابق ، ق ٢٥ ، ط٣ .

٢٢– السابق ، ق ٤٠ ، ط٣ .

٢٣– السابق ، ق ٣٥ ، ط٣ .

٢٤– السابق ، ق ١٧ ، ط٣ .

٢٥– السابق ، ق ٢٤ ، ط٣ .

٢٦– السابق ، ق ٢١ ، ط٣ .

٢٧– السابق ، ق ١٦ ، ط٣ .

٢٨– السابق ، ق ٤٥ ، ط٣ .

٢٩– السابق ، ق ١٠ ، ط٣ .

٣٠– السابق ، ق ٢ ، ط٣ .

٣١– رواه النسائي .

٣٢– سورة البقرة ، آية ١٥٤ .

٣٣– النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة : ابن تغري بردي ، ج٢ ، ص١٠٣ .

٣٤– ديوان الإمام عبدالله بن المبارك، ق١١ ، ط٣ .

٣٥– المصدر السابق ، ق ١٤ ، ط٣ .

٣٦– السابق ، ق ٣٨ ، ط٣ .

٣٧– السابق ، ق ٣٧ ، ط٣ .

٣٨– السابق ، ق ٣ ، ط٣ .

٣٩– السابق ، ق ٤٤ ، ط٣ .

٤٠– السابق، ق ٨ (المنسوب)، ط٣ .

٤١– السابق ، ق ١٦ (المنسوب)، ط٣.

٤٢– السابق ، ق ٣٢ ، ط٣ .

٤٣– السابق ، ق ٢٣ ، ط٣ .

٤٤– السابق ، ق ١٥ ، ط٣ .

٤٥– السابق ، ق ٢٣ ، ط٣ .

٤٦– السابق ، ق ٣٩ ، ط٣ .

٤٧– السابق ، ق ٤٣ ، ط٣ .

٤٨– السابق ، ق ١٥ ، ط٣ .

٤٩– السابق ، ق ٤١ ، ط٣ .

٥٠– سورة آل عمران ، آية ١٠٣ .

كتاب الزهرة لمحمد بن داود الأصبهاني

القسم السادس

محمد خير البقاعي
قسم اللغة العربية – كلية الآداب – جامعة الملك سعود

* ص ٣٨٠ وقال النميري :

ألا هَلْ إلى نصِّ النَّواعجِ بالضُّحى
وشمِّ الخزامى بالعشي سبيلُ
بلادٌ بها أمسى الهوى غير أنّني
أميلُ مع المقدار حيث تميلُ

لم يعرف المحقق بالشاعر ولم يخرج البيتين .

والبيتان في المحب والمحبوب ٢/١٧١ – ١٧٢ (٢٩٤) لأبي العَمَيْثَل، وهما في المنازل والديار ٢/٤١ بلا نسبة ورجح جامع شعر أبي حية النميري أنهما له . انظر شعره (ط . دمشق) ص ١٩٠ .

* ص ٣٨٠ وقال أبو القمقام الفقعسي :

يَقَرُّ بعيْني أنْ أرى رملة الغضا
إذا ما بدت يوماً لعيني قلالُها
ولست وإن أحببتُ من يسكن الغضا
بأوّل راجٍ حاجة لا ينالُها

قال المحقق : لا أدري أيكون أبو القمقام الفقعسي هذا هو أبو القمقام الأسدي الذي تقدم ذكره في الكتاب ؟ والبيت الثاني في ديوان المجنون مع اختلاف ص ٢٢٨ .

وأقول : إنّ الشاعر هو أبو القمقام الفقعسي الأسدي . والبيتان في معجم البلدان ٤/٢٠٥ (الغضا) لأعرابي برواية مختلفة .

....
إذا ظَهَرَت ....
....
بأول راجي حاجةٍ ....

وقد ذكر المرزباني أبا القمقام الأسدي في معجمه ٥١٣ في باب : ذكر من غلبت كنيته على اسمه، وسماه الأسود الغندجاني في فرحة الأديب ص ١٨٥ .

أبو القمقام بن مصعب الأسدي . وانظر شرح أبيات المغني ٥/٣٢٤ والقمْقام : السيِّد .. وهو صغار القِرْدان الواحدة قمْقامة، سمي بذلك لاجتماع جسمه وانضمام أجزائه بعضها إلى بعض .

انظر المبهج : ٢٠٤ – ٢٠٥ (١٧٥) وكتاب "الأعراب الرواة" لعبدالحميد الشلقاني : ص ٢٢٥ – ٢٢٦ .

* ص ٣٨٢ وذلك قوله (يعني الطائي) :

لَسْتُ أدري أطال ليلي أمْ لا
كيف يَدري بذاكَ مَنْ يَتَقَلّى
لو تَفَرّغْتُ في استطالة ليلي
ولرعي النجوم كُنْتُ مُخِلاً

قال المحقق : لم أجد البيت في ديوان أبي تمام .

قلت : وهما لأبي نواس في شرح المختار من شعر بشار (٢٢) وليسا في شعره وفي محاضرات الأدباء ٢/٤١ لخالد الكاتب، وفي شرح المقامات للشريشي ٢/٢٠٨ لابن العريف الزاهد .

* ص ٣٨٣ وقال عبيد الراعي :

كأنّ بلادَهُنَّ سماءُ ليْلٍ
تكَشّف عن كواكبها الغُيُومُ
مللْتُ بها الثّواء وأرقتني
همومٌ ما تنامُ ولا تُنيمُ
أبيت بها أراعي كلَّ نَجْمٍ
وشرٌّ رعاية العيْنِ النجوم

قال المحقق : لم أجد الأبيات في ديوان الراعي .

قلت : الأبيات في الحقيقة لذي الرُّمة ضمن قصيدة من ٢٤ بيتًا قارن بديوان ذي الرمة، وانظر ملحق ديوان الراعي النميري (طبع فايبرت) ص ٣٠٩ ق (٣٩) .

* وقال سويد بن أبي كاهل :

وأبيتُ اللَّيـلَ مـا أرْقُـدُه
وبعيْنيَّ إذا النجـم طلَعْ
فإذا ما قُلْتُ لَيْلي قـدْ مضى
عَطَـفَ الأولُ منْهُ فَرَجَـعْ
يَسحَبُ الليلُ نجـومًا ظُلَّعاً
فتواليهـا بطيئـاتُ التبَـعْ

لم يعلق عليها المحقق بشيء .

وسويد بن أبي كاهل اليشكري ، شاعر مقدم مخضرم، عاش في الجاهلية دهرًا، وعمَّر في الإسلام طويلاً عاش إلى ما بعد سنة ٦٠ من الهجرة .

وهو من شعراء المفضليات والأبيات من قصيدته التي فضلها الأصمعي، وقال "كانت العرب تفضلها وتقدمها وتعدها من حكمها وكانت في الجاهلية تُسمِّيها (اليتيمة) لما اشتملت عليه من الأمثال" وهي في ثمانية أبيات ومئة. انظر المفضليات ص (١٩٠ - ٢٠٢) ق (٤٠) الأبيات (١٢، ١٣، ١٤) .

* ص ٣٨٤ ذكر خبرًا عن علي بن الجهم لما طُعن في بريَّة حلب، وأنشد له :

هَـلْ زِيد في الليْـل لَيْلُ
أم سـال بالصبـح سَيْلُ
ذكـرتُ أهْـلَ دُجَيْلٍ
وأيْنَ منـي دُجَـيْـلُ

قال المحقق : لم أجدهما في ديوان علي بن الجهم .

قلت : وهما له في معجم البلدان (دجيل) ٤٤٣/٢ وفي ربيع الأبرار ٧٤/٣ .

* ص ٣٨٦ وقال البحتري :

أربعة أبيات دالية مرفوعة سبق إنشادها في هذا الجزء من الزهرة ص ٨٧، وقدّم لها بقوله : وأنشدني أبو الضياء لنفسه. انظر المحب ١ / ٢٨٢ ، وانظر ديوان البحـتـري ٢٠٤٦/٤(٢٩) .

* ص ٣٨٧ قول خالد الكاتب :

رَقَدْتَ فلـم تَرْثِ للسَّـاهرِ
وليْـلُ المحبِّ بـلا آخرِ
ولـم تدرِ بَعْدَ ذهاب الرقا
د ما صنع الدمـع بالنّاظر

أحال المحقق إلى طبقات ابن المعتز (ط . إقبال) والذي في طبعة (فراج) ص ٤٠٥ البيت الأول .

* ص ٣٨٨ وأنشدني أبو الفضل بن أبي طاهر، قال أنشدني أبو دعامة علي بن زيد لخليل بن هشام :

يقولون طال الليل والليْلُ لم يطُلْ
ولكن من يهوى مـن الهمّ يَسْهرُ
وكمْ ليْلة طـالتْ عليّ بهجركُمْ
وأخرى تليها تلتقي فهـي تقصُرُ

قال المحقق : لم أهتد إلى أبي دعامة، ولم أهتد كذلك إلى خليل بن هشام .

وأقول : في النص النثري سقط وزيادة، وصوابه : "أنشدني أبو دعامة لعلي بن الخليل" . وهو أحد شعراء الكوفة وظرفائهم ، طلبه الرشيد مع الزنادقة فاستتر طويلاً ثم قصده بالرقة وهو شيخ كبير، فأنشده قصيدة ساق المرزباني بيتين منها فأمنه ووهب له خمسة آلاف درهم . انظر معجم الشعراء .

وقد أنشد المرزباني بيتي الزهرة في ترجمته له . وأنشدهما العباسي في معاهد التنصيص ٢٦٦/١ مع ثالث بينهما ونسبهما لابن الخليل وعلي بن هشام، والصواب "علي بن بسام" شاعر آخر له بيتان في طول الليل مأخوذان من أبيات علي بن خليل أنشدهما مؤلف الزهرة في ص ١١٢ . ونسبهما لمحمد بن نصير، وقد علقنا عليهما وخرّجناهما في حينه .

وأظن أنّ ابن هشام تصحيف لابن بسام الذي أغار على بيْتيْ علي بن الخليل وأوردهما بقافية رائية انظر معاهد التنصيص ٢٦٦/١ وزهر الآداب ٨٠٣ - ٨٠٤ والأمالي ١٠٠/١ ومحاضرات الأدباء ٤١/٢ . أما أبو

دعامة فهو أبو دعامة العبسي سماه في الفهرست (ط . مصر) ٤٧ علي بن مرثد، وفي الإنباه ٤/١١٧ علي بن يزيد وهو من فصحاء العرب وصفه ابن النديم بأنه : علامة راوية، أطال المقام بالحضر، وانقطع إلى البرامكة وقال : قرأت بخط اليوسفي : اسمه علي بن مرثد - بالراء - وله كتاب الشعر والشعراء .

* ص ٣٩٠ وقال محمد بن عبدالملك الزيات :

كَتَبَتْ على فصٍ لخاتمها
مَنْ مَلَّ من أحبابه رَقَدا
فكَتَبْتُ في فصي ليبلُغها
من نام لمْ يشعر بمنْ سَهِدا
قالت يُعارضني بخاتمه
واللهِ لا كلَّمْتُهُ أبدا

قال المحقق : تقدمت ترجمته ولم يخرج الأبيات .

وهي له في سرور النفس : ٣٢ (٨٥) وليست في ديوانه.

* ص ٣٩٢ وقال آخر :

وما شَنَّتا خرْقاء واهيتا الكُلى
سقى بهما ساقٍ ولم يتبلّلا
بأضيع من عينيكَ للماء كلّما
توسّمْتَ برقًا أو توهمتَ منزلا

مما لم يخرجه المحقق . وهما في ديوان ابن الدمينة له ق (٥٢) ص ١١٩ وانظر التخريج ص ٢٤٣،

والرواية في الديوان :

.... واهٍ كُلاهما
.... ولا ما تَبلّلا
....
توهمت رسمًا أو تبينتُ منزلا

* ص ٣٩٣ وقال أبو حية النميري :

لَعَينيك يوم البين أسرعُ واكفًا
من الفنن الممطور وهو مروّح
إذا قُلْتَ يَفني ماؤها اليوم أصبحتْ
غدًا وهي ريًّا المآقين نَضُوحُ

قال المحقق : تقدمت ترجمته : يعني الشاعر أما البيتان فهما من قصيدة في مجموع شعره ق (٢٦) ص (١٢٧ - ١٣١) ب (١٧، ٧) برواية مختلفة :

لَعَيْنَاكِ ....
....
إذا هي أَفْنَتْ ماءَها اليوم أصبحَتْ
غدًا .... المآقين نَضُوح

* ص ٣٩٣ وقال ابن هرمة :

اسْتَبْقِ دَمْعَكَ لايُودي البكاء به
واكفُف بوادرَ مِنْ عَيْنيكَ تستَبِقُ
ليس الشؤون وإنْ جادتْ بباقيةٍ
ولا الجفونُ على هذا ولا الحَدَقُ

ترجم لابن هرمة بعبارة من الشعر والشعراء، وقال إنّ البيتين ليسا في مجموع شعره . والبيتان له في الموازنة ١/٨٩ ومعجم البلدان (جناب) ٢/١٦٤ من أبيات، وهما بلا نسبة في اعتلال القلوب (نسخة الرباط) ق ٢٦٧ ولأبي حية في طبقات ابن المعتز وانظر مزيدًا من التخريج في مجموع شعر أبي حيّة النميري ق (٦) ص (١٨٩) .

* ص ٣٩٤ وقال ابن قوفا :

سيدي أنتَ لمْ أقُلْ سيدي أنـ
ـت لِمَخْلوقٍ سواكَ والصبُّ عَبْدُ
كَبِدٌ رَطبةٌ تذوب من الوَجْـ
ـدِ وخَدٌّ فيه من الدمع خَدُّ

قال المحقق : لم أهتد إلى ترجمته . وقد وجدت الراغب في محاضرات الأدباء ٢/٢٦، ٤٠ ينشد لمن يسميه "أبا سعيد بن فوقة" ولم أجد فوق ذلك .

* ص ٣٩٥ : ثلاثة أبيات نونية مكسورة لابن الدمينة هي الأبيات ٥، ٢٦، ٢٧ من قصيدة (١٢) في الديوان (ط . النفاخ) ص ٢٨ - ٣٤ وهي في ستة وأربعين بيتًا، وفي عجز البيت الأول تصحيف والصواب :

....
بِعَيْنَيْنِ إنْسانَاهُما غَرِقَانِ

قارن بما في الأصل .

* ص ٣٩٦ وقال الركاض الزبيدي :

فيا مَنْ لِعَيْنٍ قَدْ أَضَرَّبها البُكا
فهل حَلَوَاتٌ منْ طولِ ما سَجَمَتْ تَعمي
وقلبٍ كئيبٍ لا يزال كأنما
يُقَلَّبُ في أعراضِه مَيْسَمٌ مُحْمَى

قال المحقق : لم أهتد إلى معرفته، ويعني الشاعر .

قال الزبيدي في تاج العروس (ط . الكويت) ٣٦١/١٨ (ركض) .

وكشدّاد : ركّاض بن أباق الدُبَيْريّ : راجز مشهور .

ولم أجد، على شهرته، من ترجم له وأظن أن الأبيات الثلاثة التي جاءت في البيان والتبيين ٣٥٤/٢ صلة لهذه الأبيات، وأبيات البيان منسوبة لركاض دون نسبة وقد أنشد له صاحب اللسان سبعة أبيات .

وعلى ذلك يكون "الزبيدي" في مطبوعة الزهرة تصحيف عن "الدُبَيْري" ويتكرر التصحيف نفسه في كتاب "المحب والمحبوب والمشموم والمشروب" للسري الرفاء (ط . دمشق) ٥٧/٢، وفيه أبيات البيان والتبيين الثلاثة؛ وجاء في اللسان : "ودُبَيْر : قبيلة من بني أسد" وانظر التاج (ط . الكويت) ١٦٦/١١ (دبر) وأبوه أبَاق شاعر دُبَيْري مشهور، كنيته أبو قريبة . وفي التكملة "راجز" مكان شاعر وهو بالرجز أشهر وفي اللسان "من رُجّازهم" انظر التاج (ط . الكويت) ٦/٥ (أبق) والحاشية وانظر تعليقنا على ص ١٣٠ من الزهرة .

* ص ٣٩٨ وقال البحتري :

أربعة أبيات دالية مكسورة، قال المحقق إنها ليست في الديوان وهي فيه ٦٥٨/٢ ق (٢٦٣) ب (٣، ٤، ٦، ٧) .

* ص ٣٩٨ وقال آخر :

أعَيْنَيّ مالي كُلما بتُّ ليلة
بأرضٍ فضاء كان دمعي قراكُما
أعيني لام الله من لام فيكما
محبًا وأذى من يريد أذاكُما
أعيني صبرًا أعقباني حلاوة
فقد خِفْتُ من طول البُكاء عماكُما
ألا قد أرى والله أنْ قد قذيتما
بمن لا يبالي أن يطول قذاكما
أجدكما لا تذكرا زمنًا مضى
بصنعاء لا بلْ جنباني نداكما

لم يخرجها المحقق، والأبيات لابن الدمينة في ديوانه (نفاخ) ق (٤٠) ص ٧٩ - ٨٠، وانظر التخريج ص ٢٣٢ وفيها أبيات زائدة .

* ص ٣٩٩ وأنشدتني مريم الأسدية :

بيتان لهما وزن أبيات ابن الدمينة وقافيتها .

لم يخرجهما المحقق ولم يهتد إلى ترجمة مريم الأسدية التي يبدو أنها من منشدي محمد بن داود ، انظر الزهرة ٦٨/١ .

* ص ٤٠١ ومن أقربهم وصفًا الذي يقول :

كتمتُ الهوى حتى بدا كتمانه
وفاض فنمّتْهُ عليّ المدامعُ
ولو لم يفض دمعي لعاد إلى الحشا
فقطع ما تحنى عليه الأضالعُ

لم يخرجها المحقق، وهما في حلية المحاضرة ٤٥/١ لسهل بن هارون .

* ص ٤٠١ وقال بعض الأعراب :

يقولون : لا تنْزف دموعك بالبُكا
فقلتُ وهلْ للعاشقين دموعُ
لئن كان أبقى لي التشوق قطرة
لهن إذن من عاشقٍ لَضيعُ
أظن دموعَ العين تذهب باطنًا
إلى القلب حتى انصاع وهو صديع

لم يخرجها المحقق، وهي من أبيات بلا نسبة في مجالس ثعلب ٥١٥/٢ (ط٢) ورواية الثاني هناك :

لئن كان قد بقى لي الحب دمعة
فإني إذًا من ....

* ص ٤٠٤ وقال محمد العلوي :

أبقى الهوى منه جسمًا كالهواء ضَنًى
[لقد] تَنَسَّم منه وهو مفؤودُ

أنستُ بالذكر منهـا والسهاد له

أعجب به مـن مسيء وهو موْرود

قال المحقق : لعله علي بن محمد العلوي وقد مرّ التعريف به.

قلت : هو علي بن محمد العلوي الكوفي الملقب بالحماني وقد سبق الحديث عنه، والأول من البيتين في المصون للعسكري ١٨٣ ورواية العجز فيه :

....

تَنَفَّسُ الريح فيـه وهـو مفقود

والبيتـان صلة لما جاء في الزهرة ٢٧٥ و ٢٩١، وانظر ديوان الحماني في المورد مج٣، ع٢ ص ٢٠٥ وما بعدها القطع (٢٨ - ٣٠) وتعليقات المحقق .

* ص ٤٠٤ وقال أيضًا :

هـا أنا ذا يُسْقِطني للْبلى

عنْ فَرْشتي أنفاسُ عُوَّادي

لـو يُحْسَدُ السلْك على دقة

حقًا لأمسى بعض حُسَّادي

العطف على أبيات للبحتري وليس البيتان للبحتري، وإنما هما لابن شادن المخنث كما في طبقات ابن المعتز ٣٣٢.

* ص ٤٠٥ وأنشدني بعض الأدباء :

لَمْ يبـق إلا نفسٌ خافتٌ

ومُقْلَةٌ إنسانُها باهـتُ

ومُغْـرمٌ توقـدُ أحشـاؤه

بالنار إلا أنـهُ ساكـتُ

لم يبق في أعضاله مُفْصلٌ

إلا وفيـه سقـم ثابـتُ

لم يخرجها المحقق والأبيات في المحب والمحبوب ٢/٢٠٤ - ٢٠٥ وفي حاشية تخريجات تراجع وخلافٌ في الرواية يُنظَر . وانظر شعر ماني الموسوس (ط . دمشق) ص ٥٠ فالأبيات هناك أربعة يُنظر تخريجها في الحاشية .

* ص ٤٠٦ ولبعض أهل العصر :

ثلاثة أبيات خائية لم يخرجها المحقق والأول والثالث منها لمحمد بن داود الأصبهاني في معجم البلدان ٤/٤٤٨ (كرخ بغداد) .

* ص ٤٠٦ وقال آخر :

قالت ظـلوم سميّة الظلـم

إني رأيتك ناحـل الجسـم

يامـن رمـى قلبي فأقصده

أنت الخبير بموضع السقم

انظر تعليقنا على ص ٨٦ فيما سبق .

* ص ٤٠٩ لبعض الأدباء في ذلك :

إذا ضاق صدر المرء عنْ سرّ نفسه

فصدْرُ الذي يُستودَعُ السرّ أضيقُ

ورُب فتـى يجفو كرائـم مالـه

ويرعى سوام الأبعدين فيشفقُ

لم يخرجهـما المحقق ، والأول من قطعـة في الكامل (ط . الدالي) ٢/٨٨١ وقدم لها "وقال العُتْبيُّ" ويبدو أن البيت الأول تضمين في شعر العتبي لأن البيت الذي قبله في الكامل :

وحسبُك في ستر الأحاديث واعظا

من القول ما قال الأريبُ الموفقُ

"إذا ....

.... أضيقُ"

والأول مع آخر ليس في الكامل في لباب الآداب ٢٤٠ بلا نسبة وهو وحده في بهجة المجالس ١/٤٦٢ بلا نسبة وانظر تخريجًا في حاشية لباب الآداب . وانظر المصون في سر الهوى المكنون ١١٣ ففيه الأول بلا نسبة، وأحال المحقق إلى رسائل الجاحظ ١/١٤١ - ١٤٨ لأن البيت جاء في خبر منقول عن رسائل الجاحظ .

* ص ٤١٠ وقال آخر :

ستة أبيات لامية موصولة بالهاء الساكنة أولها :

كريمٌ يُميت السرّ حتّـى كأنهُ

إذا استخبروه عن حديثك جاهلُه

لم يخرجها المحقـق وهي لكثير عَزّة في ديوانه ٤٢٠ والثـلاثة الأولى فـي الموشـى ١٠٨ لكثيـر . وانظـر المصون في سـر الهـوى المكنـون ٤٧ فـالأول هناك برواية أخرى ومع بيتين ليسا في الزهرة ولم يخرجها محقق المصون .

* ص ٤١٠ وقال آخر :

قد جرّر الناسُ أذيالَ الظنون بنا

وفـــرق الناس فينا ظنَّهُــم فِرق

فجاهل يَنتحي بالظن غيركُـم

وصـادق ليس يدري أنه صدقـا

لم يخرجهما المحقق .

وهما للعباس بن الأحنف في ديوانه ٢٢٤، والرواية :

١ - قد سحّب الناس ....

....

٢ - فجاهل قد رمى ....

....

وهما للعباس في المصون في سر الهوى المكنون ٩٨ والرواية :

١ - قد جَرّد ....

وفرق الناس فينا قولهـم فِرقا

٢ - فكاذب قد رمى ....

....

* ص ٤١٠ وقال آخر :

وما وَجْدُ مِلْواحٍ من الهيم خَلّيَتْ

عن الماء حتى جوفُها مُتَصلصِلُ

تحوم وتَغْشاهـا العصيُّ وحولها

أقاطيــع أنعــام تَعَلُّ وتَنْهلُ

بأكثـر منــي غلّـة وتعطفًـا

إلــى الوِرْدِ إلا أنــني أتجمّلُ

لم يخرجها المحقق وهي في المحب ١٠٤/٢ للمعلوط ابن بدل القريعي ثم السعدي وهو شاعر إسلامي وانظر تخريجات في حاشية المحب والمحبوب وفي صدر البيت (العروض) تصحيف فقد تصحفت "حُلِئتْ" إلى "خُلّيَتْ" والأبيـات في : المصـون في سـر الهـوى المكنون : ٩٨ للعباس بن الأحنف وليست في ديوانه وانظر اختلاف الرواية . وقد تصحفت أقاطيع في عجز البيت الثاني إلى أمّاطيع في المصون فليُعْلَمْ .

* ص ٤١١ وقال آخر :

لعمرك ما استَوْدعتُ سرّي وسرَّها

سوانا حذارًا أنْ تضيع السرائر

ولا خاطبتهـا مُقْلتــاي بلحظــه

فتعْرف نجوانا العيونُ النواظـرُ

ولكن جعلْت الوهــم بيني وبينهـا

رسولاً فأدّى ما تُجنُّ الضمـائرُ

أصون الهوى بُقْيًا عليه من العـدى

مخافة أنْ يُغْرَى بذكـراه ذاكرُ

لم يخرجها المحقق والأبيات في الفاضل ١٠٢ لبعض المحدثين، ووردت في الموشى ١٠٨ بعد أبيات لكُثير عزة، وقدم لها بقوله "وقول صاحبه أيضًا" وهي في ديوان جميل ٧١ . والأبيات بلا نسبة في المصون في سر الهوى المكنون : ١٠٢ وانظر زهر الآداب ٨٧٧/٢، وديوان الأحوص ١١٩.

* ص ٤١٢ وقال آخر :

توافق معشوقان مـن غير موعدٍ

وغيب عن نجواهمـا كل كاشـح

وكلّتْ جفون العين عن حمل مائها

فما ملكت فيض الدموع السوافح

وإني لأطوي السرَّ عن كل صاحب

وإنْ كان للأسرار عدل الجوانـح

لم يـخـرجـهـا المـحـقق وهي في الموشى ١٠٦ لـبـعض الشـعـراء وهي في ديوان العـبـاس بن الأحنف : ٧٥ (١٤٧) وخرجها من الموشى والرواية في الديوان .

توافَق ....

....

وجاء رويّ البيت الثاني مضمومًا في مطبوعة الزهرة وهذا خطأ .

* ص ٤١٣ وقال آخر :

وحبّ كأطباق البحـار كَتَمْته

مـع القلب لم يعلم به مـن ألاطفُ

وإنــي أكم السر حتى أرُدّهُ

سليم الصفا لم تمْتهنهُ الزعانفُ

وأخفي من الوجد الذي ما لو أنّه
يَشيعُ لَحَرَّ المُوطنات الألايفُ

لم يخرجها المحقق وهي برواية أخرى في أمالي الزجاجي : ١١ وخرجها المحقق من المجتني لابن دريد ٨٩ . وهي في (ط. دمشق) ١٠٥ برواية ثالثة والزعانف: النساء الخسائس .

* ص ٤١٣ وإني لأستطرف قول نبهان العبشمي :

أما والله ثم الله حقًّا
يمينًا ثم أتبعُها يمينًا
لقد نزلت أمامة من فؤادي
تلاعًا ما أبحْن ولا رُعينا
أظلُّ وما أبث الناس أمري
ولا يخفي الذي بي فاعْلمينا
أذود النفس عن ليلي وإنّي
ليعصيني شواجرُ قدْ صَدينا
يَرَيْن مشاربًا ويُذدْن عنها
ويكثُرن الصدور وما رُوينا

قال المحقق : لم أهتد إلى ترجمته ؛ يعني الشاعر . وقد سبق أن أنشد له صاحب الزهرة في ١/٣٣٠ أبياتًا نُسبت في معجم البلدان لعروة بن حزام وهذه الأبيات صلة لتلك . وقد وجدت ذكرًا للشاعر في الكامل ١/٧٠ (ط . الدالي) .

انظر تعليقنا على ص ٣٣٠ من هذا الجزء من الزهرة . وتنسب هذه الأبيات لابن الدمينة وهي في ديوانه (ط . المرحوم النفاخ) ق (٦١) ص (١٥٩ - ١٦٠) ب (٦، ٧، ١٠، ١٢) والأبيات ٦، ٧ مع آخرين في أمالي القالي ١/٢٠٢ وانظر وفيات الأعيان ٦/٢٧ .

* ص ٤١٤ ولعمري لقد أحسن الذي يقول :

رماني بها قلبي فلم يخط مقْتلي
ولم يك منْ يَرْمي تُصاب مقاتلهْ
فإنْ متُّ فابْكوني قتيلاً بطرْفها
قتيل عدو حاضر ما يُزايلهْ
شكا ركني عمن أحب ولم يَبُحْ
بأكثر من هذا الذي هو قائلهْ
وإن أحق الناس أنْ يكْثُرَ البكا
عليه قتيلٌ ليس يعرفُ قاتلَهْ

لم يخرجها المحقق والأولان بلا نسبة في اعتلال القلوب للخرائطي (مخطوطة الرباط) (ق ١١٦) .

* ص ٤١٤ وأحسن الذي يقول :

وإنّي لأغْضي الطرف عَنْكِ تجمُّلاً
وقلبي إلى أشياء عطشانُ جائعُ
فلا يَسْمَعَنْ سري وسرك ثالث
ألا كلّ سرٍّ جاوز اثْنَيْن شائعُ

البيتان لم يخرجهما المحقق، وهما لقيس بن الحدادية الخزاعي وهو شاعر جاهلي كان فاتكًا شجاعًا صعلوكًا خليعًا . جمع شعره حاتم صالح الضامن ونشره في كتاب "شعراء مقلّون" ص ٧ - ٤٣ .

والبيتان من قصيدة له طويلة (٤٦ بيتًا) هي في شعره (٩) والبيتان هما على الترتيب ٣٩، ٢٢ وسبق لصاحب الزهرة أن أنشد من هذه القصيدة أربعة أبيات (١، ١٨، ٤٣، ٤٤) في ١/٢٦٤ منسوبة لقيس هذا .

* ص ٤١٦ وقال بشار بن برد :

ستة أبيات دالية مرفوعة قال المحقق إنه لم يجدها في ديوان بشار وخرجها من الأمالي ١/٤٩ -٥٠٠ ومحاضرات الأدباء ٢/٣٥ والرابع والخامس منها في ديوان المجنون ص ١٠٣ .

وأقول : الثالث والرابع والخامس في المحب والمحبوب ١/١١١ لبشار وفي حاشيته تخريج شامل، وانظر ديوان بشار (ط . ابن عاشور) ٤/٤٠ - ٤١ .

* ص ٤١٦ وقال آخر :

شيَّعْتُهُمْ فاسترابوني فقلت لهم
إني بُعثت مع الأجمال أحدوها
قالوا فما نفس يعلو كذا صعدا
أم ما لعينك ما تَرْقا مآقيها
قلْتُ التنفس للآداب نحوكم
وماءُ عيني جار من قذًى فيها

لم يخرجها المحقق وهي في "شرح المختار من شعر

بشار" (٢٠٧) غير منسوبة وهي من ثمانية أبيات في أمالي القالي (٧٨/١) قدم لها بقوله "وأنشدنا الأخفش ، قال : أنشدنا أبو الطريف - شاعر كان مع المعتمد - لنفسه" وأول الأبيات في السمط (١٦٩) لخالد الكاتب . وذكر البكري في السمط (٢٦٤) أن اسم أبي الطريف علي بن سليمان اليمامي وترجم له المرزباني في معجم الشعراء (١٤٧) وقال : إنه "أحد شعراء العسكر"، وانظر حماسة الظرفاء ١١٩/٢ - ١٢٠ (١٤٠) وانظر المختار من شعر ابن الدمينة : ٣١ وديوان البحتري ٢٧٤١/٥ (٢٠) ورواية الثاني في الأمالي .

قالوا فما نفس يعلوك ذا صُعُدٍ

وما لعينك لا ترقا ....

والثالث فيها :

قلت :

التنفس مـــن تدأب سيركم

والعين تذرف دمعًا من قذًى فيها

* ص ٤١٦ وأنشدتني ستيرة العصبية :

ونادى بالترحل بعض صحْبي

فرحـت ومقلتي غرقى بماهـا

فراحوا والشقـيُّ لـه ديونٌ

وأشيا مـن حوائج ما قضاها

فأرْخيت العمامة دون صحبي

على عيني وقلـت جرى قذاها

ومالـــي حاجــة إلاّ ببكر

وما ذنبي على أحــد سواها

فقالوا من ضراري كيف بكْرٌ

وكيف تراك ترجو أنْ تراهــا

فقلــت الله حمّ فـراق بكْرٍ

فأرجـو أنْ يحـم لنا لقاهـا

ورد هذا الإنشـــاد ثلاث مــرات في الزهرة انظر الصــفــحــات ١١٥، ١٨٦، ٣٥٤ وأظن أن الأبيات الواردة في ص ١٨٦ صلة لهذه الأبيات، وورد اسمها في هذا الموضع منيرة العصبية ولم أدر ما وجه الصواب في اسمها ولم أجد شيئًا من شعرها .

* ص ٤١٨ وقال الضحاك بن عقيل :

يقولون : مجنون بسمــراء مُولَعٌ

ألا حبـذا جــن بهــا وَوُلوعُ

وما زلت أخفي حب سمراء منهم

وتعلم نفســي أنه سَيشيـــعُ

ولا خـير فـــي حُب يكون كأنه

شغاف أجنـــنه حشًا وضُلوعُ

قال المحقق : لم أهتد إلى ترجمته .

قلت : هو الضحاك بن عقيل الخفاجي وسبق لنا الحديث عنه في تعليـقنا على ص ١٣٠ وص ٣٢٨ وســيـأتي مصرحًا بنسبته في ص ٤٢٩ .

أما الأبيات فهي له في الأمالي ٦٠/٢ قال البكري في السمط ٦٩٤/٢ إن هذا الشعر قد تقدم إنشاده (ص ٢٩، ٣٠) (من الأمالي) ثم قال :

وذكرنا أنه لحكَيم بن مُعَية التميمي وأن أحمد بن يحيى نسبه إلى قيس بن ذريح ونسبه أبو علي للضحاك بن عمارة بن مالك العدواني وهو شاعر إسلامي فارسي وانظر السمط ١٣٢/١ - ١٣٣ .

ولم ينشد القالي أبيات الضحاك إلا مرة واحدة في ص ٦٠/٢ ونسبها "للضحاك" وإن ما أنشده في ص (٣٠، ٢٩) هي أبيات أخرى تشبه هذه وانظر تعليقات العلامة الميمني في حاشية سمط اللآلي ١٣٢/١ - ١٣٣ .

والأبيات في معجم البلدان ١ : ٥٣٤ - ٥٣٥ "البين" للضحاك وانظر ديوان ابن الدمينة ٩١ - ٩٢ والتخريج ص ٢٣٦ .

* ص ٤١٩ وأنشدني أحمد بن يحيى :

ولي كبدٌ مَقْرُوحة مـن يبيعُني

بها كبدًا لَيْسَتْ بذات قُــرُوحِ

أباها عليّ الناس لا يَشْتَرُونها

ومن يشتري ذا علةٍ بصحيح

انظر في تخريجها المحب والمحبوب ٦١/٢ (١٠٢) .

* ص ٤٢٠ وقال آخر :

وقال نساءٌ لَسْنَ لــي بنواصحٍ

ليعْلَمْنَ ما أُخفي ويَعْلَمن ما أبدي

مع بيتين آخرين ولم يعلق عليها المحقق بشيء، وقد سبق وأنشدها المؤلف في ص ٢٠٨ وانظر تعليقنا عليها هناك .

* ص ٤٢٣ وقال آخر :

ولما رأى أنْ لا سبيــل وأنــه

هو البين مقصورًا عليه الأضالعُ

تهتك عن أسرار قلب وأسْجَمَتْ

مدامع عين بينها السر ضائعُ

لم يخرجهما المحقق، وهما في الموازنة ٢/٢٧ وقدم لها "وأنشد إسحق أيضًا، وأنشده الأخفش عن المبرد" .

* ص ٤٢٣ وقال حفص الشطرنجي :

وقالت بُحْتَ بالأســرار عَنّي

وما هــذا بفعل أخي الكريمهْ

فقلت لها: فدتْك النفس نَمَّتْ

بما لاقيــتُ مقلتي المشومَــهْ

فألقت نفسها ضحكًا وقالت

قد ارتفع الحديثُ عن التميمهْ

قال المحقق : لم أهتد إلى ترجمته .

وأقول : هو أشهر من أن يخفى وقد ترجمه صاحب الأغاني ٢٢/٥٠ وفوات الوفيات ٣/١٣٥ والسمط ٥١٧ . وأنشد له صاحب الحماسة المغربية وترجم له محققها محمد رضوان الداية فقال :

أبو حفص الشُطْرَنْجيّ : عمر بن عبدالعزيز الشطرنجي، كان مشغوفًا بالشطرنج فنسب إليه، مولى بني العباس، كان أبوه من موالي المنصور، ونشأ عمر في دار المهدي ومع أولاده ، فكان كأحدهم ، وتأدب ، فكان شاعرًا غزلاً وأديبًا ظريفًا، كان منقطعًا لعُلَيّة بنت المهدي، يقول الأشعار على لسانها فيما يعرض لها من أمور ... كانت وفاته في خلافة المعتصم نحو سنة (٢١٠هـ) ولم أجد الأبيات في مظَانّ ترجمته .

* ص ٤٢٣ - ٤٢٤ ولقد أحسن ابن قُنْبُر حيث يقول :

خنيني بما يَجني لساني واصفحي

لنا عن جنايات الدُّموع البوادر

فقد شهرتني مـرّة بعـد مـرةٍ

فأبدت برَغمي خافيات سرائري

ولو أن عيني طاوعتني لا ختفى

عليّ الهوى أخرى الليالي الغوابرِ

ولكنهـا تُـبـدي إذا ما ذكـرتم

بفيض مآقيها خبايا الضمائـر

قال المحقق : لم أهتد إلى ترجمته . وهذا عجيب لأنه مشهور وهو الحكم بن محمد بن قُنْبُر البصري كان أكثر مقامه ببغداد، ونظم قصائد غزل وهاجى مسلم ابن الوليد، وكانت له بالجمحي (المتوفى نحو سنة ٢٣٢هـ) معرفة وصلة ترجمته في الأغاني ١٤/١٦٠ - ١٦٧ وانظر تاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين (الترجمة العربية) مج٢، ج٤، ص٨٣ . والأول والثاني من الأبيات في المختار من شعر بشار ١٥٨ منسوبين لأحمد بن أبي فنن انظر شعره في كتاب "شعراء عباسيون" ليونس السامرائي ١/١٥٧ (٣٣)، ونسبها لأحمد هذا الحصري في المصون في سر الهوى المكنون: ١٠٩ ولم يخرجها المحقق .

* ص ٤٢٤ وقال أحمد بن أبي قَيْن :

ولما أبَتْ عيناي أنْ تَسْتُرا الهوى

وأنْ تقفا فيض الدموع السواكب

تثاءَبْتُ كيلا يُنكر الدمـع منكرٌ

ولكنْ قليــلٌ ما بُقــاء التثاؤبِ

أعَـرْضْتُمـاني للندى وتَمَنْتُمَا

عليّ لبئس الصاحبان لصاحب

قال المحقق : لم أهتد إلى ترجمته . ولا وجود لشاعر بهذا الاسم لأنه مصحف والصواب أحمد بن أبي فَنَن وهو شاعر مشهور جمع شعره ونشره في "شعراء عباسيون" ١/١٠١ - ١٨٤ يونس السامرائي، والأبيات

في شعره ضمن الكتاب المذكور ١٤٣/١ (٨) وانظر أمالي القالي ٧٠/١ وتخريجات أخرى في مجموع شعره . ونسبها لابن أبي فنن برواية مختلفة الحصري في كتابه المصون في سر الهوى المكنون ١٠٧ .

ووجدت التصحيف الذي أشرت إليه في اسم الشاعر في كتاب "أبو تمام وأبو الطيب في أدب المغاربة" لمحمد بن شريفة، ص ٢٦٩ وص ٢٤٧ فليصحح في الموضعين .

* ص ٤٢٤ وقال النابغة :

طوى كشحًا خليلك والجناحا
لِبَيْن منك يوم غَدًا وراحا
فيالك حاجة في صدر صب
رأى الأظعان باكرة فباحا

قال المحقق : لم أجدهما في الديوان . قلت: بل هما فيه أولهما مطلع ق (٧٤) ص ٢١٣ والثاني هو البيت رقم (٩) وهو نابغة بني ذبيان، وفي قافية البيت الأول تغيير فهي في الديوان :

....

.... ثم غدا صُراحا

والقصيدة من مرويات ابن السكيت مما لم يرد في نسخة الأعلم .

* ص ٤٢٦ وقال آخر :

لو كنت أظهر ما أكاتمكمْ [به]
هل كنتُ إلا مُخْبِرًا بودادي
أفليس في نظري تأمل بائن
يُنْبيكَ عما في ضمير فؤادي

لم يخرجهما المحقق وواضح أنه زاد كلمة (به) في السطر الأول من البيت الأول لمكان العروض .

والبيتان بلا نسبة في المصون في سر الهوى المكنون : ٩١ والرواية :

١ - لو كنت أُظْهِرُ ما أُكَاتِمُ مِنْكم
....

٢ - أفليس في نظري دليلٌ بَيِّنٌ
.... عما في صميم فؤادي

* ص ٤٢٩ وأنشدني أحمد بن يحيى :

وقد علمت سمْراءُ أن حديثها
فجيع كما ماءُ السماء فجيعُ
إذا أمرتك العاذلاتُ بصرمها
هفت كبدٌ مما يقلن صديع

وزادني غيره :

وكيف أطيعُ العاذلات وحبُّها
يؤرقني والعاذلات هجوعُ

والأبيات في الأمالي ٢٩/١ وقدّم لها "وأنشدني أبو عمرو عن أبي العباس عن ابن الأعرابي"

لقد ....
نجيعٌ كما ماءُ السماء نجيع
إذا أمرتني ....
.... عمَّا

و"فجيع" التي جاءت في مطبوعة الزهرة تصحيف ظاهر.

قال في السمط ١٣٢/١ .

"هذا الشعر لعمرو بن حكيم بن مُعية من ربيعة الجوع شاعر إسلامي وأول الأبيات :

خليلي أمسى حب سمراء مُمْرِضي
ففي القلب مني وقدة وصدوعُ
ولو جاورتنا العام سمراء لم نبلْ
على جدبنا أن لا يصوب ربيع
لقد علمت ....
....

وقد أنشد أبو علي هذه الأبيات في آخر كتابه للضحاك ابن عمارة، وقد روي بعضها لقيس بن ذريح .

"قال أحمد بن يحيى : قال قيس بن ذريح :"

وأنشد أبياتًا فيها الثاني والثالث من أبيات الزهرة وانظر تخريجات العلامة الميمني في حاشية السمط : ص (١٣٢) الحاشية (٢) .

وانظر المحب والمحبوب ٢١/٢ .

الدليل الشافي
على تأملات ونظرات الدالي
في شرح الفصيح للزمخشري

إبراهيم عبدالله جمهور الغامدي
الأستاذ المساعد بجامعة أم القرى

الحمد لله رب العالمين وأصلي وأسلم على نبيه الأمين محمد بن عبدالله وعلى آله وصحبه أجمعين ؛ وبعد :

فمن الصعوبة بمكان نسبة كتاب إلى مؤلفه خاصة إذا كانت نسخة الكتاب خالية من اسم المؤلف ، وكانت مضطربة قدّم وأخر في أوراقها علاوة على ما اعتراها من سقط وتصحيف وتحريف .

والكتاب الذي قمت بتحقيقه تمثل فيه كل الصفات السابقة . وقد قدّم لنا أرباب تحقيق التراث ومن هم على دراية بالأسس المتبعة في نسبة كتاب إلى مؤلفه . وقد طبقت تلك الأسس حتى تمكنت من الوصول إلى ترجيح نسبة هذا الكتاب إلى الزمخشري وقد ذكرت ذلك في الرد على الدكتور بهاء الدين [1] .

ولم تكن نسبتي لهذا الكتاب من واقع شكوك وظنون وقرائن لاتثبت أمام موضوعية البحث العلمي ؛ بل استندت على أدلة حقيقية كنقل العلماء عن هذا الشرح ونسبة هذه النقول إلى الزمخشري، أو ذكر الشارح نفسه لمؤلفاته في هذا الشرح، أو الوقوف على إحالات الشارح إلى بقية مؤلفاته . و هذه هي الأدلة العلمية التي يجب أن يؤخذ بها ويطرح ماعداها لعدم وجود أدلة تستندها .

وقد كتب الأخ الدكتور محمد الدالي مقالاً في مجلة عالم الكتب العدد الأول من المجلد العشرين (رجب - شعبان) عنونه بـ (شرح الفصيح المنسوب للزمخشري تحقيق نسبته ونظرات فيه) . عندما رأيت عبارة تحقيق نسبته توقعت أنه قد توصل إلى نسبة هذا الكتاب من خلال وقوفه على أدلة جديدة .

ومـا أن قلبت المقال حتى وجدته ينسبه (ظنًا) إلى الإستراباذي الحسن بن أحمد . الذي سبق وأن أفردت له مبحثًا في نسبتي لهذا الكتاب اشترك مع الأخ بهاء الدين في بعض القرائن الظنية، كما عنون هو في مقاله وهذه القرائن لايُعتد بها في موازين البحث العلمي .

سأتناول هذه النقاط التي عرض لها، وإن كنت قد رددت على جلها في المقال الأول .

جاء المقال في خمس صفحات . تحدث في الأولى عن وصف عام لموضوعات الدراسة وما اشتملت عليه من مباحث . بعدها أثنى على قيمة الكتاب العلمية وعلى محقق الكتاب ثناء عطرًا، وهذا يحمد له ويدل على طيب معدنه وصفاء سريرته فالأخ الدالي عرفناه من خلال خدمته للتراث العربي، ويكفيه ما قام به من جهد وعناء في إخراج كتاب الكامل للمبرد الذي يعد إخراجًا متميزًا وكذلك كتاب أدب الكاتب لابن قتيبة .

كما أشكره على حسن كتابته التي انمازت بالأمانة العلمية ولغته المتسمة بالحوار الهادئ، وهذه السمة يجب أن يتحلى بها كل باحث لأن العلم صلة رحم بين أهله .

بعدها عرض لدفع صحة نسبة الكتاب عن أبي هلال وكذلك عن الأهوازي مع بيانه لملخص الأدلة التي رجحت نسبة الكتاب إلى الزمخشري . استغرق هذا صفحة ونصفًا من المقال .

ثم أفرد عنوانًا في الصفحة الثانية نصّه : (نظرات في نسبته إلى الزمخشري وتحقيق نسبته إلى أبي علي وهو الإستراباذي [ظنًا]) .

فبدأ الأخ محمد عنوانه بالظن، والظن شيء والعلم شيء آخر فنسبة كتاب إلى مؤلفه لاتثبت بالظنون وهو بلا شك يعلم ذلك .

قال تحت هذا العنوان : «كنت خلال قراءتي للمقدمة وعقب فراغي منها مسلّمًا بصحة نسبة هذا الكتاب إلى

الزمخشري لما ذكره المحقق من أدلة كانت عندي قاطعة في الدلالة على ذلك .

ولما مضيت في قراءة الكتاب وقفت في مواضع منه على أشياء وقف عندها المحقق أو ألم بها في مقدمته وفسرها تفسيرًا جاريًا . مع اطمئنانه إلى نسبة الكتاب إلى الزمخشري ولايسلم له ذلك؛ بل إن المتأمل ينتهي بقارئ الكتاب إلى خلاف ماذهب إليه المحقق» [٢] .

وأود أن أسأل الزاعم بعد هذا النص هل أوصلك هذا التعامل إلى المؤلف الحقيقي لشارح هذا الكتاب ؟

والإجابة بالنفي لايوجد دليل واحد يعتمد عليه في نسبة هذا الكتاب إلى الإستراباذي سوى النَّصين اللذين ذكرهما البغدادي، وقد أشار المحقق إليهما في مبحث نسبة الكتاب إلى الإستراباذي [٣] .

بعدها أورد أربعة احتمالات ذكر في الأول أنه من المحتمل أن تكون النسخة التي اعتمد عليها اللبلي غير منسوبة فاجتهد في نسبتها بناء على ما ورد في أثنائها من مؤلفات تتفق مع مؤلفات الزمخشري كالإحالة إلى تفسيره أو كتابه في الأمثال أو في غريب الحديث .

وأود أن أجمل الردّ على هذا الوجه في النقاط التالية:

١ – إذا سلمنا جدلاً بما ذكره – وهذا مستبعد – لأن اللبلي ممن يوثق في مروياته وقد شهد له العلماء القدماء بذلك[٤] . – فماذا تقول في النص الذي نقله شهاب الدين الخفاجي، والنص الذي نقله صاحب شرح التسهيل . وابن المُلقن فجميعهم نقلوا عن هذا الشرح ونسبوا النصوص المنقولة في مؤلفاتهم إلى الزمخشري . أكلهم اجتهدوا في نسبة هذا الشرح إلى الزمخشري من أجل المؤلفات المذكورة في الشرح ؟!

٢ – لماذا لانقول إن نسخة البغدادي كُتب عليها اسم الشارح خطأ أو أن البغدادي اجتهد في النسبة عندما رأى تردد عبارة قال أبو علي ؟ !

وفي الوجه الثاني : قال الأخ الدالي : «ما قاله المحقق إن الاحتمالات التي تدفع صحة نسبة الكتاب إلى الإستراباذي كثيرة ... غير مقبول ولا يعتد به ؛ لأنه لم يبين شيئًا من هذه الاحتمالات الكثيرة وربما أراد بها الأدلة التي استدل بها لتصحيح نسبة الكتاب إلى الزمخشري وهي غير صالحة ولا كافية لدفع نسبة الكتاب عن الإستراباذي ...» [٥] .

فقول الأخ الدالي – بأن الاحتمالات التي حدتني إلى عدم نسبة هذا الكتاب إلى الإستراباذي كثيرة ولم أذكرها – فيه نظر فقد بينتها ونصصت عليها وعرضت للباقي في أثناء النسبة، وغريب صدور هذا القول من الدالي؛ ولبيان ذلك أذكرها هنا ليتضح عدم صحة هذا القول :

١ – عدم تحديد كتب التراجم لوفاة الإستراباذي التحديد الدقيق.

٢ – لم يذكر أن الإستراباذي ممن ألف في غريب الحديث أو تفسير القرآن أو الأمثال .

٣ – لم تذكر عموم المصادر التي رجعت إليها – سواء أكانت في التراجم أو غيرها – أن الأعلام الوارد ذكرهم في هذا الشرح من بين من تلمذ عليهم الإستراباذي أو روى عنهم .

٤ – علاوة على ما ذكر؛ فإن الأدلة التي رجحت من خلالها نسبة الكتاب إلى الزمخشري تنفيه عن الإستراباذي.

وأود أن أورد هنا نصًا للإستراباذي منقولاً من كتابه شرح الفصيح ليس في هذه النسخة .

هذا النص وقف عليه الأخ عبدالله عمر حاج في كتابه الذي حققه لنيل درجة الماجستير، والنص هو : (ويقال بغداد بدالين وبغداذ بإعجام الثانية، وبغدان، حكى ذلك الإستراباذي في شرح الفصيح) [٦] .

فلا أعلم كيف غفل الزاعم عن هذا البيان ؟ فلربما كانت قراءته على عجل .

وفي الوجه الثالث . يقول : «ما قاله المحقق أن ما ذكره البغدادي (لاينهض لمدافعة الأدلة والقرائن التي تؤيد نسبة الكتاب إلى الزمخشري) وأنى للباحث أن يقول ذلك وما ذكره البغدادي واللبلي سواء في هذا الباب ...» .

هذا القول غير صحيح فالتسوية بين البغدادي واللبلي غير مسلّم بها؛ لقرب عصر اللبلي من الزمخشري وعناية أهله بالإسناد والمشيخات والبرامج والفهارس؛ واعتماد البغدادي على الوجادة في مروياته، أو إجازات المتأخرين التي ليس لها قيمة علمية .

ثم عناية اللبلي وتخصصه بالفصيح وشروحه جمعًا ورواية.

أما البغدادي فعنايته بها كانت هامشية، وهذه واحدة . والأخرى هو أن ما نقله اللبلي من هذا الشرح لايقارن بالنصين اللذين نقلهما البغدادي؛ إذ نقل اللبلي في الجزء الموجود من تحفة المجد الصريح والذي لايتجاوز خمسه أكثر من ثلاثة وسبعين نصاً ، و نقل في لباب تحفة المجد الصريح أكثر من ثلاث مئة نص . فهل هذه التسوية بينهما صحيحة ؟ !

وفي الوجه الرابع : ذكر أن المحقق كان مضطربًا في تحديد شخصية أبي علي الوارد ذكره في الكتاب ولم لَمْ يجعل المحقق أبا علي الإستراباذي أحد آباء علي (إلى أن قال) «لايصح البتة أن يكون أبو علي المذكور إلا رجلاً واحدًا» [٧] .

أقول للأخ الدالي إن المحقق لم يضطرب في تحديد شخصية أبي علي، ولكن يبدو أن قراءتك كانت من باب التصفح لا التأمل .

فالشارح يقول مرة : قال أبو علي . وأخرى قال الشيخ أبو علي، ويقول : قال أبو علي رحمه الله . فلم يلتزم وتيرة واحدة ومعنى هذا أنه لم يكن شخصًا واحدًا هذا جانب والجانب الآخر هو أني خرجت بعض هذه النصوص في حاشية الكتاب من شرح الحماسة للمرزوقي ومن أمالي القالي ومن كتاب أبي علي الفارسي والزمخشري نقل عن الفارسي في كتابه الفائق كما ذكر الباحث [٨]، وهذا صحيح فلماذا جوزنا ذلك في الفائق ولم نجوزه في شرح الفصيح . أما بقية النصوص التي لم أقف عليها فلعلها نقلت من كتب مفقودة أو ربما نقلها الزمخشري عن كتاب الإستراباذي، وليس بين أيدينا إنتاج للإستراباذي لنتأكد من مقارنة ما في الشرح به . وهذه مجرد احتمالات لاتثبت أمام البحث العلمي .

أما قول الأخ الدالي (لايصح البتة) فلا يقال هذا إلا بناءً على دليل لا افتراضات واحتمالات .

وقوله : إن أبا علي الحسن بن المظفر النيسابوري شيخ الزمخشري الذي جعله المحقق المعني في بقية نصوص الكتاب فمن المحال أن يكون أبا علي المذكور في الكتاب» [٩] .

فلماذا الاستحالة هل وقف الزاعم على أحد هذه النصوص الموجودة في الشرح منسوبة إلى الإستراباذي أم أن هذا القول مجرد ظَنّ ؟ والثاني هو ما أشار إليه الزاعم . وهل في إشارة التلميذ إلى شيخه والنقل عنه استحالة ؟

كما فات الدالي أن رواية مؤلف شرح الفصيح عن أبي علي ليس فيها تصريح بالسماع، وإنما بلفظ (قال) وهذه غير صريحة في السماع إذ قد يروى بهذه الصياغة من لم يلق الشيخ أو من وجد شيئاً من كتبه ومقالاته، وهذا كثير شائع في كتب القوم ومؤلفاتهم .

والقول بأن المراد من قول قال أبو علي مؤلف الكتاب غير مستبعد، غير أن كثرة النصوص المنقولة منه منسوبة إلى الزمخشري تحول دون ذلك وتجعله غير مؤلف الكتاب بل تجعله ممن نقل عنهم المؤلف نقلاً مباشرًا أو غير مباشر، غير أنه روى بالتصريح سماعًا عن أبي أحمد العسكري وابن مهدي وسبق أن ذكرت أن جلّ الأسانيد الموجودة في الشرح محرفة واعتراها السقط، وأيد الأخ الدالي ما سبق أن ذكره المحقق في هذا الشأن .

ثم يقول : «فلو سلّمنا بصحة نسبة الكتاب إلى الزمخشري وأغمضنا عيوننا عن أشياء مريبة وسلمنا أن أبا علي المذكور في الكتاب هو أبو علي النيسابوري شيخ الزمخشري كان محالاً من الوجهة الزمنية» .

يريد أن يصل إلى بعد الفترة الزمنية بين أبي علي وأبي أحمد العسكري وابن مهدي وغيرهم من العلماء الذين ذكروا في الأسانيد الواردة في الكتاب .

لقد رددت على هذه النقطة بما يكفي في مقال (الرد الصحيح) مما يغنى عن إعادته [١٠]، في هذا الموضع وما ذكره من بُعْد، الوجهة الزمنية ينطبق على أبي علي الإستراباذي تمامًا .

وأما قول الباحث بأنه لم يعرف ابن مهدي وأن ولادته قد تكون سنة (٣١٠هـ) فهذا غريب كيف عرف تاريخ ولادته وهو لم يعرفه ؟ !

وقوله : «فكيف يروى أبو علي النيسابوري المولود تقديرًا (٤٠٢هـ) عن علي بن مهدي المتوفى (٤٠٠هـ) تقديرًا هذا لا يكون » .

فمن النص السابق يتضح التناقض كيف نبني نسبة كتاب على الظنون والتقديرات التي لا دليل عليها .

أما قوله : «وأما ما ذكره المحقق من أن الزمخشري ذكر شيخه أبا علي المذكور في كتابه الفائق فليس بصحيح فأبو علي الذي ذكره الزمخشري في الفائق هو أبو علي الفارسي غير شك ....» .

الذي أعنيه هو أن هذا الشخص (أبو علي) سواء أكان النيسابوري أو غيره ذكره الزمخشري في كتابه الفائق فلعل العبارة كانت ملبسة .

وأود أن أسأل الدكتور . لماذا وسمت المحقق بالاضطراب عندما خَرَّج نصاً من النصوص من كتاب أبي علي الفارسي، وأنت هنا تخرج النص من كتاب الشعر له - فلماذا جاز للزمخشري النقل عن الفارسي في الفائق ولم نجزله في هذا الشرح النقل عنه ؟

وهل في هذا النص الوارد في كتاب الشعر ما ينفي نسبة الكتاب إلى الزمخشري ؟ لو أن الفارسي عاش بعد زمن الزمخشري لكان كلامك مقبولاً أما أن يكون العكس فليس بصحيح .

وأما قول الدكتور إن «أبا علي المذكور في مواضع من هذا الكتاب هو صاحب الكتاب وتكون عبارة "قال أبو علي" أو "قال الشيخ أبو علي" أو "قال" التي وقعت في مواضع من الكتاب من كلام بعض مستعملي الكتاب أو نقلته ...»[١١] .

فلماذ أثبت الزاعم هنا ما اعترى السند من تصحيف وتحريف وسقط مرده مستعملو الكتاب، ولم يثبت ذلك في السند السابق ذكره . هذه واحدة .

والثانية هل اطلع الزاعم على المخطوط حتى يصدر هذا الحكم ؟ والإجابة بالنفي إذ إن الخط واحد ولكن ليقل إن جميع الأسانيد الواردة في هذا الكتاب قد اعتراها التصحيف والتحريف لا من مستعملي الكتاب؛ بل من نساخ الكتاب إذ إن النسخة كتبها أعجمي وليس عربياً كما وضحت ذلك عند دراستي للكتاب [١٢] .

وقد أقر الأخ الدالي هذا السقط والتحريف في السند بنفسه فآخر المقال يناقض أوله [١٣]، فلماذ أجازه وقال به في موضع ورده في موضع آخر ؟ !

كما ذكر الزاعم ما نَصه : «... وسمعت أبا أحمد العسكري قال : سمعت الدريدي يقول : سمعت أبا حاتم ...» وقد سلف هذا السند ص٩٠ وفيه اليزيدي مكان الدريدي محرفًا» .

وكان من باب الأمانة العلمية أن يقول الأخ الدالي إن التحريف وقف عليه المحقق ولاينسبه إلى نفسه [١٤] .

إلى أن قال : «فالذي يمليه النظر ويوجبه أن صاحب الكتاب هو أبو علي وهو من تلامذة أبي أحمد العسكري وابن مهدي» .

وأود أن أقف عند هذه النقطة التي لم يتنبه إليها الدكتور، فأقول : وهل الإسترابادي المتوفى قرابة سنة (٤٦٧هـ) تلميذ لأبي أحمد العسكري المتوفى سنة (٣٨٢هـ) وتلميذ للفراء المتوفى سنة (٢٠٧هـ) . وقولك إن عبارة (أنشدنا الفراء) خطأ من الناسخ، فلماذا حكمت هنا بالخطأ في السند وتركت ماسواه كأنشدنا العسكري . لانستطيع الحكم بتخطئة الأسانيد أو تصويبها إلا متى ظهر الدليل الذي يقطع بذلك كظهور نسخة ثانية من هذا الكتاب سليمة وخالية من التحريف والسقط وتحمل اسم مؤلفه أما ما عدا ذلك فلا يعتد به ولايُلتفت إليه .

ثم تساءل الدكتور بعد ذلك من يكون أبو علي هذا؟ وأجاب بقوله : «إن أكبر الظن أن أبا علي صاحب الكتاب هو أبو الحسن بن أحمد الإسترابادي النحوي اللغوي ... وكانت وفاته قبل ٤٦٧هـ .. فأن يكون صاحب الكتاب أبو علي الذي يروى عن أبي أحمد العسكري وعلي بن مهدي ذلك ما يهدي إليه النظر في نصوص الكتاب وأما أن يكون أبو علي هذا الحسن بن أحمد الإسترابادي الذي نقل عبدالقادر البغدادي من كتابه "شرح الفصيح" ... فذلك ظن من الظن إن لم يكن سهلاً ترجيحه قريبًا من اليقين لنقص في ترجمته وضياع آثاره كان عسيرًا أن يدفع»[١٥] .

وبناءً على ما ذكره الزاعم في النص نلحظ الأمور التالية :

١ - عدم اطمئنان الباحث إلى نسبة هذا الشرح للإسترابادي وإنما لشخص آخر يكنى أبا علي .

٢ - لم يذكر أحد من العلماء أن الإسترابادي تلمذ على أبي أحمد العسكري أو الفراء لبعد الفترة الزمنية .

٣ - ذكر الباحث أن هذا ظن من الظن، وهو كذلك لعدم وقوفه على أدلة تنفي ترجيح النسبة عن الزمخشري .

وقصور الأدلة التي تؤيد النسبة إلى الإستراباذي . إذن فلماذا الترجيح الذي يقرب من اليقين مع فقد الأدلة الصحيحة ؟

وفي آخر المقال ذكر الباحث ما نَصّهُ : «فإن صح أن أبا علي الإستراباذي صاحب هذا الكتاب كان تفسير وقوع ما نقله اللبلي عن الزمخشري بنصه في هذا الكتاب من وجهين : أولهما : أن النسخة التي وقف عليها اللبلي منسوبه إلى الزمخشري أو كانت لاتحمل اسم صاحبها فاجتهد اللبلي في نسبتها إلى الزمخشري .

وثانيهما : أن النسخة التي وقف عليها اللبلي هي شرح الزمخشي ونقل الزمخشري من شرح الإستراباذي وإذا صح أيضًا كان لأبي علي الإستراباذي هذا كتب في تفسير القرآن وغريب الحديث والأمثال والمثلث ولم يذكر شيء في ذلك ..» [١٦].

أجمل الرد على هذا النص في النقاط التالية :

١ – شك الدالي في صحة النسبة للإستراباذي بدليل قوله: (فإن صح) ومعنى ذلك أنه من المحتمل ألا يصح فأين هذا من يقينه السابق ؟

٢ – يرد على قوله في الوجه الأول بما ذكرته سابقًا من أن اللبلي لم يكن هو الوحيد الذي نقل عن شرح الفصيح للزمخشري وإنما نقل عن هذا الشرح مجموعة من العلماء [١٧].

٣ – أما الوجه الثاني فهذا ماذكرته في دراستي لهذا الكتاب وكنت أتمنى أني يشير الأخ الدالي إلى أن هذا القول هو قول المحقق فقد ذكرتُ ما نصه : «أما فيما يتعلق بالنصين اللذين أوردهما البغدادي فلعل الزمخشري نقلهما عن شرح الإستراباذي ولم يشر إلى كتابه وهذه عادة جرى عليها بعض العلماء ...» [١٨].

٤ – الكتب الواردة في هذا الشرح لو كانت للإستراباذي لأشار العلماء إلى بعضها في مؤلفاتهم لاسيما أنها متعددة الاتجاهات في تفسير القرآن والأمثال وغريب الحديث ولكن لم يحدث ذلك ؛ لأن الإستراباذي لم يؤثر عنه أنه ألف في هذه الموضوعات إذن فالكتاب ليس له البتة إلا إذا وقفنا على أدلة علمية تقفنا على مؤلف هذا الكنز سواء كان الإستراباذي أو غيره والحقيقة العلمية هي ما يسعى إليها المحقق فالزمخشري والإستراباذي وغيرهما من العلماء عند المحقق سواء فمتى ظهرت الأدلة العلمية الصحيحة التي تؤكد النسبة لهما أو لغيرهما أثبتناها. فالهدف هو إخراج هذا الكنز من الخزائن التي أثقل كاهلها الغبار وكلّت من حملها الرفوف .

وبعد ؛ فإني أشكر الأخ الدالي وأقول له كما قال هو متى ظهرت نسخة سليمة من هذا الكتاب صحيحة النسبة تحمل اسم مؤلفها فلا مانع لدى المحقق من تغيير النسبة وهذا ما ذكرته في آخر حديثي عن نسبة الكتاب [١٩]، أما إذا كان دفع النسبة مبنيًا على قرائن ظنية فتبقى النسبة قوية للزمخشري ولايصحّ غيرها .

الهوامش

١ – ينظر ص٥٣ من الرد الصحيح لمن حاول دفع نسبة شرح الفصيح.

٢ – ينظر المقال ص٣٣ .

٣ – ينظر شرح الفصيح ١/٥١ – ٥٢ .

٤ – الرد الصحيح ص٥ .

٥ – المقال ص٣٣ .

٦ – ينظر النهاية في شرح الكفاية ص٣٣٠ . وقد وضحت ذلك بالتفصيل في الرد على مقال الجواب الصحيح ص٥٠ فما بعدها مما يغني عن إعادة ذكره هنا.

٧ – المقال ص٣٤ .

٨ – ينظر ص٣٤ من المقال .

٩ – المقال ص٣٤ .

١٠– ينظر الرد الصحيح ص٧ فما بعدها .

١١– المقال ص٣٤ .

١٢– ينظر شرح الفصيح ١/٢٣٥ فما بعدها .

١٣– ينظر المقال ص٣٥، وقارنه بـ ص٣٤ .

١٤– ينظر شرح الفصيح ١/٩٠ .

١٥– المقال ص٣٥، ٣٦ .

١٦– المقال ص٣٦ .

١٧– ينظر ص٤ من المقال .

١٨– ينظر شرح الفصيح ١/٥٣.

١٩– ينظر شرح الفصيح ١/٨٧ .

تكملة الجواب الصحيح

وتبرئة الرأي النجيح في نسبة شرح الفصيح

بهاء الدين عبدالوهاب عبدالرحمن

الأستاذ المساعد في كلية التربية للبنات بمكة المكرمة

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين ، وبعد :

فقد نشرت (الجواب الصحيح لمن نسب إلى الزمخشري شرح الفصيح) في العدد الأول من المجلد العشرين من مجلة عالم الكتب ، وقدمت فيه من البراهين ما يقطع بأن شرح الفصيح الذي نشرته جامعة أم القرى ليس للزمخشري ، وإنما هو للإسترابادي مبتغيًا في ذلك إحقاق الحق، وتصحيح ما ذهب إليه المحقق، لكي يستدرك ذلك في الطبعة الثانية، وأنا لا أعرف المحقق، وليس لي أي غاية شخصية من وراء ذلك الجهد الذي بذلته.

لكن محقق الكتاب الدكتور إبراهيم الغامدي، ظن أن هذا البحث يهدف إلى انتقاصه ، فنشر رداً على بحثي (الجواب الصحيح) في العدد الثاني من المجلد العشرين من مجلة عالم الكتب، رغبة منه - بزعمه - في تحقيق ما طلبه منه أستاذه القدير، وهو ردّ أعرض عن الردّ عليه بمثله احتساباً لا عجزاً، وامتثالاً لأمر نبيّنا وقدوتنا وسيدنا المصطفى صلى الله عليه وسلم، الذي نهى عن المهاترة بالتهكم والاستهزاء والغمز واللمز، غير أني سأدفع عن نفسي ما نبزني به صاحب الردّ من البعد عن المنهج العلمي وعدم فهم النصوص و التقول والتلفيق والمغالطة، وأضيف أدلة جديدة على دفع نسبة الكتاب للزمخشري وإثباتها للإسترابادي لتنضم إلى الجواب الصحيح المنشور مع التذييل، ليعلم القارئ المنصف من المتصف بهذه الصفات مني ومنه، ولعل معهد البحوث في جامعة أم القرى الذي نشر الكتاب منسوبًا للزمخشري يعيد النظر في هذه النسبة بتشكيل لجنة من ذوي الخبرة بتحقيق التراث لا تضمّ أحداً من مناقشي الرسالة تنظر في متن الكتاب وفي دراسة المحقق وماكتبته في الجواب الصحيح وتذييله مع هذه التكملة، وما كتبه الدكتور محمد أحمد الدالي ، وتقرر بعد ذلك ماتراه، وسأشير في هذه التكملة إلى الدكتور إبراهيم الغامدي بصاحب الردّ، وكنت أشير إليه في بحثي السابق بالمحقق.

١ - دفع تهمة عدم الالتزام بالمنهج العلمي ،

سأعرض فيما يأتي بعض المسائل العلمية التي ستقف بالقارئ على التثبت من مدى التزام كلٌ منا بالمنهج العلمي والفهم الصحيح للنصوص .

أ - مسألة عنوان البحث وهو (الجواب الصحيح لمن نسب إلى الزمخشري شرح الفصيح) .

قال صاحب الرد: عنوان المقال كما سبق إيراده غير صحيح ، لأن الجواب الصحيح لا يرد إلا بناء على سؤال فهل في أثناء هذا الشرح أي سؤال حتى يجيب الباحث عنه ؟ لعل الباحث لم ينتبه إلى هذا الخطأ ، حيث كان همه منصرفًا إلى البحث عن الكلمات البراقة .

وأقول : لم يقدم صاحب الرد دليلاً على صحة دعواه القائلة إن الجواب الصحيح لا يرد إلا بناء على سؤال، وكان المنهج العلمي يقتضي إثبات الادعاء بالبيّنة من كتب اللغة ، وثَمَّ حكم آخر أصدَرَه دون بيّنة، حيث حكم أنَّ همّي كان منصرفاً إلى البحث عن الكلمات البراقة، وهذا من باب الرجم بالغيب.

ويعلم الله أنني لم أثبت العنوان إلا بعد مراجعة كتب اللغة التي بينت لي أن الجواب هو رديد الكلام كما في لسان العرب ، فأي كلام يُرَدُّ به على كلام سابق فهو جواب وليس لازمًا أن يكون الكلام السابق سؤالاً. قال الراغب في مفرداته (جوب) : جواب الكلام : هو ما يقطع الجوب فيصل من فم القائل إلى سمع المستمع ، لكن خص بما يعود من الكلام دون المبتدأ من الخطاب ... والجواب يقال في مقابلة السؤال . هذا نصه. فأيّ كلام تَردُّ به على كلام الذي يتحدث إليك يسمى جوابًا سواء أكان الكلام الذي تردّ عليه سؤالاً أم غير سؤال . وفي القرآن الكريم في قصة إبراهيم في سورة العنكبوت قال تعالى : ﴿وإبراهيم إذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه ...﴾ الآية (١٦) ثم قال بعد عدة آيات ﴿فما كان جواب قومه إلا أن قالوا اقتلوه أو حرقوه﴾ الآية (٢٤) فلم يسألهم إبراهيم سؤالاً وإنما دعاهم إلى عبادة الله .

وفي الشعر ، قال حسان في همزيته المشهورة:

هجوت محمداً فأجبت عنه

وعند الله في ذاك الجزاء

ومعلوم أنه لم يكن في الهجاء سؤال حتى يجيب عنه. وللسيوطي كتاب سماه : الجواب الأسدّ في تنكير الأحد وتعريف الصمد . ذكره صاحب كشف الظنون. ولو سلمنا أن الجواب يجب أن يكون مبنياً على السؤال لبقي العنوان صحيحًا، لأنه جواب عن سؤال حول نسبة الكتاب للزمخشري بعد أن يُقرأ الكتاب، وتقديره: هل تصح نسبة هذا الكتاب للزمخشري مع أن مؤلفه يروي مباشرة عن العسكري وابن مهدي ؟ .

وبهذا البيان الشافي بإذن الله يكون صاحب الردّ مخطئًا فضلاً عما اتهمني به رجمًا بالغيب من أن همي كان منصرفًا إلى البحث عن الكلمات البراقة .

ب ـ **مسألة أخذ الشارح عن علي بن مهدي ودعوى السقط في السند:**

وردت في شرح الفصيح روايات كثيرة عن علي بن مهدي تدل على أن الشارح أخذ عنه مباشرة، فهو يقول: أخبرني علي بن مهدي أو سمعت ابن مهدي أو أنشدني علي بن مهدي أو أنشدنا، فاستنتجت من هذا أن علي بن مهدي شيخ للشارح، وقال في موضع من هذه المواضع: أنشدنا ابن مهدي قال: أنشدنا ابن الأنباري... فاستنتجت أن ابن مهدي أخذ من ابن الأنباري،فقال صاحب الرد معترضًا: من أين عرفت أن ابن مهدي تلمذ لابن الأنباري؟

وكان صاحب الرد ذكر في (ص١٨١-١٨٢) من دراسته لشرح الفصيح أن الأرجح أن يكون علي بن مهدي هذا هو الكسروي المتوفى في خلافة المعتضد أي بحدود سنة٢٨٩هـ ، وعلل ترجيحه بقوله: لأن الكسروي هو الذي حدّث عن أبي أحمد العسكري.

وهذا كلام لا يصح أبداً لأن العسكري توفي سنة ٣٨٢هـ أي بعد وفاة الكسروي بمئة عام، لذلك قلت: إن كان الكسرويّ فيجب أن يكون حفيد المتوفى في خلافة المعتضد، من باب الافتراض.

غير أني توصلت بفضل الله وحمده إلى أن ابن مهدي هذا هو أبو الحسن علي بن محمد بن مهدي الطبري تلميذ أبي الحسن الأشعري، اشتهر بابن مهدي حتى ظن السبكي الذي ترجم له في طبقاته الكبرى أن مهدياً أبوه، ولكنه تحقق بعد ذلك أنه جده وأن اسم أبيه محمد، ونبهت إلى ما وقع فيه السيوطي في بغية الوعاة من خطأ حين جعل الكسرويّ المتوفى في خلافة المعتضد الطبريّ الذي أخذ عن أبي الحسن الأشعري، والأشعري متوفى سنة٣٢٤هـ على أقل ما قيل في تاريخ وفاته، ونقلت ترجمة علي بن مهدي من طبقات الشافعية الكبرى للسبكي، وذيلت بها الجواب الصحيح المنشور في العدد الأول من المجلد العشرين من مجلة عالم الكتب، ولكن صاحب الرد لم يطلع عليه وإنما كان رده مبنيّاً على المسوّدة الأولى للجواب الصحيح التي تداولها قبل النشر بعض الزملاء.

وقد رجعت فيما بعد إلى مصادر السبكي التي منها تبيين كذب المفترى فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري لابن عساكر(ص١٩٥-١٩٦) الذي أورد لابن مهدي شعراً، منه قوله :

إن الزمان زمان سـو وجميع هذا الخلق بَوْ
ذهب الكرام بأسرهم وبقيت في ليت ولَـوْ
فإذا سألت عن الندى فجوابهم عن ذاك نَوْ

ولأبي الحسن علي بن مهدي الطبري آراء متفرقة في النحو والتفسير والعقيدة، ذكرت رأيًا منها في الجواب الصحيح، وهو أن (من) لبيان الجنس في قوله تعالى ﴿فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل﴾[٣٥ الأحقاف] نقلته من تفسير القرطبي ، ثم وقفت على رأيين آخرين :

أولهما في مسألة النظر إلى الله تبارك وتعالى، قال القرطبي: قال علي بن مهدي الطبري: لو كان سؤال موسى مستحيلاً ما أقدم عليه، مع معرفته بالله، كما لم يجز أن يقول له: يا رب ألك صاحبة وولد؟ [تفسير القرطبي١٧٨/٧].

والثاني في تفسير التمني في قوله تعالى ﴿وما أرسلنا قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته﴾ [٥٢ الحج] قال القرطبي: قال أبو الحسن ابن مهدي: ليس هذا التمني من القرآن والوحي في شيء، وإنما كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا صفرت يده من المال، ورأى ما بأصحابه من سوء الحال تمنى الدنيا ووسوسه الشيطان [القرطبي١٣: ٥٧].

وقد ذكره ابن تيمية في درء تعارض العقل والنقل(١/٢٤٥-٢٤٦) ضمن الأئمة العالمين بأقوال السلف مع أحمد بن حنبل وابن كلاب وأبي الحسن الأشعري، وأبي نعيم الأصبهاني، وجعله في (ج٢/١٧) من المثبتين للصفات الخبرية الواردة في القرآن دون تأويل.

وذكرت في الجواب الصحيح أن له كتاب تأويل الأحاديث المشكلات الواردة في الصفات، وذكر العبادي في طبقاته (ص٨٥) أن له الأصول، وتفسير أسامي الرب عز وجل.

والسؤال الذي لم أستطع التحقق من جوابه هو: هل تلميذه الذي ذكره السبكي باسم: أبي عبدالله الحسين بن أحمد بن الحسن الأسدي هو شارح الفصيح أبوعلي الحسن بن أحمد الإستراباذي ؟ .

قد يكون هذا بعيداً ولكنه ليس مستحيلاً، فتحريف الحسن إلى الحسين وارد، وتحريف الإستري وهي النسبة القياسية إلى إستراباذ إلى الأسدي أيضًا وارد، لكن تحريف الكنية من علي إلى عبدالله قد يكون بعيداً.

ولأن صاحب الردّ لم يطلع على بحثي المنشور ولا على ترجمة ابن مهدي التي ذيّلتُ بها بحثي المنشور في عالم الكتب أطال في الردّ عليّ في هذه المسألة، وكان مما قال: كيف تريد القارئ أن يتفق معك على هذا القول الذي بنيته على شخصية وهمية لم تعرض لها كتب التراجم...؟ أم تريد القارئ تصديق عبارات لا دلالة علمية فيها، ولمَ لا يكون في السند سقط فالنص الذي اعتمد عليه الباحث هو (...أنشدنا ابن مهدي قال: أنشدنا ابن الأنباري ...) ثم انتقل صاحب الرد إلى ادعاء وجود سقط وتحريف وتصحيف في السند بناءً على أن الشارح قال في موضع من المواضع: أنشدنا الفراء ، وجعل هذا دليلاً علمياً.[ص١٠٢من العدد المذكور من عالم الكتب].

وأقول : لقد بين الدكتور محمد أحمد الدالي في بحثه المنشور في عالم الكتب الذي سماه:(شرح الفصيح المنسوب للزمخشري تحقيق نسبته ونظرات فيه) الذي نشر في العدد الذي نشر فيه بحثي (الجواب الصحيح) أن هذا خطأ من ناسخ النسخة أو ممن نقل عنه، صوابه: أنشد الفراء، وقد عبر المؤلف بقوله : أنشد الفراء، في مواضع من كتابه (ص١١، ٣٥، ١٠٩، ٥٣١، ٦٣٢) ولكن يبدو أن صاحب الرد حين كتب رده لم يكن مطّلعا على بحث الدالي الذي وافقني على أن هذا الشرح ليس للزمخشري.

إن الحكم بأن عبارة (أنشدنا الفراء) محرفة وصوابها: أنشد الفراء، لا يُبقي لدعوى وجود سقط في السند أي سند، لأنه حينئذٍ لا يبقى إسناد حتى يكون فيه سقط، لأن قوله : أنشد الفراء، ليس من الروايات المسندة التي تبدأ من المؤلف، وإنما هو حكاية منقولة من كتب الفراء أو مأخوذة من كتب أخذت عن الفراء. فكيف نبني على هذه الدعوى التي لا دليل عليها حكمًا عامًا يقضي بوجود السقط في كل روايات الشارح عن ابن مهدي والعسكري، تلك التي يقول فيها: سمعت، وأخبرني.

ويحسن بنا ونحن في الحديث عن الإسناد أن أشير

إلى ما ذكرته في الجواب الصحيح من أن الزمخشري لا يذكر الآراء بسندها بخلاف شارح الفصيح الذي يذكر بعض الآراء بسندها كروايته عن العسكري عن الدريدي عن أبي حاتم عن الأصمعي.

فقال صاحب الرد : هل تأكدت من هذه المعلومة من واقع مؤلفات الزمخشري ، ؟ هذا ما لا أظنه، لأن الزمخشري يذكر بعض الآراء بسندها في بعض مؤلفاته، من ذلك قوله : أضل الله من قولهم : ضلني فلان فلم أقدر عليه أي : ذهب عني ، حكاه الأصمعي عن عيسى بن عمر. [ص١٠٨ من العدد المذكور] .

وأقول : أين السند الذي يوصل الزمخشري بالأصمعي؟ وهل يعد هذا النقل عن الأصمعي مسنداً؟ وأترك الإجابة لمن كان على دراية بفن الرواية، لعل صاحب الرد يقتنع بقولهم.

ج – مسألة الفائق وتهذيب غريب الحديث :

ذكرت في الجواب الصحيح أن شارح الفصيح أحال إلى كتاب له اسمه (تهذيب غريب الحديث) وليس للزمخشري كتاب بهذا الاسم، وإنما له الفائق في غريب الحديث وشتان بينهما، فرد صاحب الرد قائلاً : يرد على الباحث في النص السابق بأمور هي :

١ – الزمخشري لم يسم كتابه في مقدمة هذا الكتاب بالفائق ولا ذكر لذلك حتى في أثناء الكتاب، وإنما من جاء بعده وسمه بهذا الاسم .

٢ – ما الفرق بين التهذيب والفائق؟ فأنت قلت شتان بينهما ولم توضح الفرق الدلالي .

٣ – هل هذا الحديث الذي أورده شارح الفصيح ثم ذكر أنه بين معناه في تهذيب غريب الحديث لا يوجد في الفائق ؟ .

وأقول : لقد ذكر الزمخشري اسم كتابه (الفائق) بالنص في خاتمة الكتاب حيث قال:(قد انتهى بي ما استوهبت الله فيه من فضل المعونة واستمددت منه مزيد التوفيق من إتمام كتاب الفائق، وهو كتاب جليل جم الفوائد غزير المنافع...)[ج٣/٤٢٦ط / دار الكتب العلمية] .

وأحال إليه الزمخشري باسمه (الفائق) في شرح مقاماته، وقد ذكرت ذلك في الجواب الصحيح المنشور الذي لم يقرأه صاحب الردّ. كما نصّ ابن الأثير على أن الزمخشري سماه الفائق.[النهاية١/٩] .

فالزمخشري هو الذي سمّى كتابه (الفائق) وليس الذين أتوا بعده كما زعم صاحب الردّ بدون علم .

أما الفرق بين الفائق والتهذيب فهو أن الفائق عنوان كتاب الزمخشري والتهذيب عنوان لكتاب شارح الفصيح.

وأما حديث (كل مولود يولد على الفطرة) الذي ذكر الشارح أنه بين معناه في التهذيب ، والذي ورد في الفائق، فليس بدليل على أنهما كتاب واحد ، لأنه موجود في غريب الهروي الذي نقل عنه ابن الأثير، والهروي متقدم على الزمخشري.

ثم قال صاحب الرد تعليقًا على قولي : وقد جعلهما المحقق كتابًا واحدًا:

(أنا لم أجعلهما كتابًا واحدًا وإنما قلت في هامش الكتاب لعله الفائق، ولكن يبدو أن الدكتور لا يعرف معاني الأدوات والحروف) هذا نصه.[ص١٠٤من العدد المذكور]

ولكنه عاد في موضع آخر فقال: (وردا على قولك هذا أبين للقارئ بعض الأمثلة ليقف على الحقائق العلمية التي رجحت من خلالها أن هذا الكتاب هو الفائق) هذا نصه.[ص١٣٣من العدد المذكور] .

وأدع القارئ ليتعجب بما شاء من هذا التناقض الذي ليس له حل إلا أن تكون (لعل) بمعنى أرجح، وأنا لجهلي بمعاني الحروف لا أعلم لـ(لعل) غير معنى الرجاء وقد ترد للتعليل عند بعضهم، أما أن تكون بمعنى الترجيح فهذا ما أجهله ولا فخر.

وقد أطال صاحب الرد في مسألة أن التهذيب هو الفائق، فعلق على قولي : هل من المعقول أن يريد الشارح بالتهذيب الفائق ؟ قائلاً : أقول للباحث : ما المانع في ذلك خاصة أن الزمخشري لم يسم كتابه بهذا الاسم، ولماذا لا تقول: إن الزمخشري هذّب كتابه حتى فاق كتب الحديث، فكأن التهذيب وصف للكتاب ؟ [ص١١٢من العدد المذكور].

وأقول: لا أقول ذلك لأن الزمخشري سمى كتابه الفائق كما ذكرت، وأحال إليه في شرح مقاماته بهذا الاسم، فهو قطعًا غير التهذيب.

والقارئ أن يعلم بعد هذا كله من الملتزم بمناهج البحث العلمي .

وكنت قد أشرت في الجواب الصحيح أن المثل القائل(إن أهون السقي التشريع) الذي زعم صاحب الرد في تحقيقه للكتاب أنه لم يجده إلا في الفائق بهذه الرواية أعني بزيادة (إن) أقول : أشرت إلى أنه موجود في النهاية لابن الأثير أيضًا، فقال صاحب الردّ في ردّه: كان من الواجب على الباحث أن يرجع إلى كتاب ألف قبل الزمخشري ليتحقق من صدق قولي لا أن يعود لكتاب ابن الأثير الذي نقل عن الكتب التي سبقته في غريب الحديث، ومنها الفائق، فقد أخذ ابن الأثير هذا المثل عن الزمخشري، وهذا مما لا شك فيه .

وأقول: لقد صدّر ابن الأثير نقله بعلامة (هـ) فجاء في النهاية (ج٢ : ٤٦٠) ما صورته :

(هـ) ومنه حديث عليّ (إن أهون السقي التشريع) هو إيراد أصحاب الإبل إبلهم شريعة لا يحتاج معها إلى الاستسقاء من البئر.انتهى .

وهو بهذه العلامة (هـ) يعني أن النقل من الهروي، حيث قال في مقدمة النهاية : «وجعلت على ما فيه من كتاب الهروي (هاء) بالحمرة وعلى ما فيه من كتاب أبي موسى (سينا) وما أضفته من غيرهما مهملاً بغير علامة، ليتميز ما فيهما عما ليس فيهما» [ج١/١١] وبهذا نعلم يقينًا أن النقل من كتاب الهروي وليس من كتاب الزمخشري، والهروي قبل الزمخشري .

أرأيتم من منا يلتزم بمناهج البحث العلمي ولا يلقي الكلام جزافًا !

بقي أن أشير إلى أني وجدت عددًا من الأحاديث وردت في شرح الفصيح ولم ترد في الفائق ، كحديث : اتقوا فراسة المؤمن ، وحديث : إذا أتاكم كريمة قوم فأكرموه، وحديث : سمنوا ضحاياكم ، وغير ذلك ، فأي الكتابين أحق بذكر هذه الأحاديث ، كتاب شرح الفصيح أم كتاب الفائق ؟

وأكتفي بهذا القدر فما تبقى من أمر الفائق والتهذيب على شاكلة ما قدّمت .

د – مسألة المستقصى وكتاب الشارح في الأمثال :

ذكرت في الجواب الصحيح أن تقارب شرح الأمثال الواردة في شرح الفصيح مع شرحها في المستقصى لا يعد دليلاً على أن الكتاب الذي ذكر شارح الفصيح أنه ألفه في الأمثال هو المستقصى .

فقال صاحب الردّ: هذا دليل على عجز الباحث عن الإتيان بدليل واحد ينقض هذه النسبة، ثم ضرب مثالاً على تطابق ما في هذا الشرح مع ما في المستقصى في معنى الشأفة من المثل: استأصل الله شأفته، وهو قول الشارح :

الشأفة قرحة تخرج بالقدم فتكوى فتذهب ، تقول: أذهب الله أصله كما أذهب ذاك .

وقول الزمخشري في المستقصى : هي قرحة تخرج بالقدم فتكوى فتذهب، والمعنى: أذهب الله أصله كما أذهب ذاك .

وسكت صاحب الرد عند هذا، ولم يوازن بين ما تبقى من الكلامين ، فالشارح ذكر بعد ذلك أن هذا من باب المجاز، وأصله استأصل الله موضع شأفته، وذكر أن الأصمعي فسر الشأفة بالنماء، والمعنى أذهب الله نماءه وبركته، قال الشارح : وهذا التفسير يعجبني، ثم ذكر معنى آخر نسبه لأبي زيد، وعدّد اللغات الواردة في هذه الكلمة. [ص٥٧٧ من شرح الفصيح] .

أما الزمخشري فما زاد على ما ذكر في المستقصى غير قوله: يضرب في دعاء الشر.

فأين التطابق المزعوم؟ التطابق جزئي في معنى الشأفة، وهو ما نجده في الصحاح أيضًا، قال الجوهري:

الشأفة قرحة تخرج في أسفل القدم فتكوى فتذهب، يقال في المثل: استأصل الله شأفته، أي أذهبه الله كما أذهب تلك القرحة بالكي.

وصحاح الجوهري من مصادر الزمخشري اللغوية

يقينًا، ووجدته في مواضع من حواشي المفصل ينقل من الصحاح حرفًا بحرف.

ثم ذكر صاحب الردّ المثل القائل: إذا عزّ أخوك فهن، وأورد جزءًا من كلام الشارح وجزءًا من كلام الزمخشري، ثم قال : فالرأي واحد عند كل من الزمخشري وشارح الفصيح، ولا نجد هذا الرأي في سائر كتب الأمثال.[ص١١٤من العدد المذكور] .

وسأورد النصين كاملين ثم أعلق عليهما.

قال شارح الفصيح في ص٦١٦ : وهن : من الهوان، وهو التذلل، وروى بعضهم فهِن بكسر الهاء ، وهو من : وهن يهن ، إذا ضعف، والأول أجود . هذا نصه.

وقال الزمخشري في المستقصى١/١٢٥ :

فهن : من الهوان، أي إذا تعزز وتعظم فتذلل أنت وتواضع، وقيل: هو بكسر الهاء من وهن يهن، أو هان يهين، إذا لان، أي: إذا صعب واشتد فلن له وياسره، وهو أصح فيما يروى عن بعض المحققين، لأن العرب لا تأمر بالهوان، والصحيح الأول لقول ابن أحمر:

دببت له الضراء وقلت أحرى
إذا عزّ ابن عمك أن تهونا

ثم ذكر قصة المثل .

وأقول: إن موافقة رأي الزمخشري لرأي صاحب الشرح ليس دليلاً على أن الزمخشري هو صاحب الشرح، لأن الزمخشري ربما أخذ من مصدر آخر أخذ منه الشارح أيضًا، فقد ذكر صاحب اللسان في (عزز) أن كون (هن) من الهوان رأي ثعلب وأن أبا إسحاق الزجاج خطأه، وقال هو بالكسر من هان يهين بمعنى اللين، وصحح ابن سيده رأي ثعلب، واستشهد ببيت الأحمر السابق، فالمسألة مذكورة في كتب أخرى غير المستقصى وشرح الفصيح.

وأضيف إلى هذا أني وجدت أمثالاً مذكورة في شرح الفصيح لم تذكر في المستقصى كالمثل المشهور: ويل للشجي من الخلي، الذي أطال الشارح في شرحه (ص٦٢٩)، فأي الكتابين أحق بذكر الأمثال ؟.

فالمستقصى قطعًا غير الكتاب الذي ألفه شارح الفصيح في الأمثال، ولو كان إياه لأحال إليه الزمخشري باسمه، كما فعل في شرح المقامات، وهو ما بينته في بحثي المنشور الذي لم يقرأه صاحب الرد.

هـ – مسألة الكشاف والتفسير الذي أحال إليه الشارح :

ذكرت في الجواب الصحيح أن الشارح ذكر معنى آمين وأطال فيه وقال : (وقد بينا في تفسير القرآن معنى آمين أشبع من هذا) وعندما رجعت إلى الكشاف وجدت أن ما ذكره الزمخشري عن (آمين) لا يبلغ ربع الذي ذكره شارح الفصيح في شرحه، فاستنتجت على وجه اليقين أن التفسير الذي أشار إليه المؤلف غير الكشاف .

فقال صاحب الرد : (إحالة شارح الفصيح على التفسير في معنى أمين وهو في التفسير أكثر بيانًا وإيضاحًا، لأنه جعله مباشرة اسم فعل أمر ... فهو من حيث المعنى بغض النظر عن صورة نطقها ومعرفة أصلها ولغاتها أشبع وأوضح في بيان أنه صوت واسم فعل أمر، فلا حرج ولا عنت في كلمته) هذا نصه[ص١٠٨من العدد المذكور] .

وأقول : أدعو القارئ الكريم ليفكر معي في هذا النص الذي لا ينقضي منه العجب من مبناه ومن معناه، كيف يكون ماذكره الزمخشري في الكشاف عن معنى (آمين) أكثر تبيانًا عما ذكره الشارح في الشرح، والمذكور في الكشاف لا يتجاوز ربع المذكور في شرح الفصيح ؟ اللهم لا أشهد .

وقد وجدت برهانًا آخر على أن هذا التفسير لا يمكن أن يكون الكشاف وهو اختلاف صاحب الشرح مع الزمخشري في تفسير قوله تعالى ﴿وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها﴾ [١٦ الإسراء] فقد قال شارح الفصيح :

(أمرناهم بالطاعة ففسقوا فهذا الوجه عندنا) [ص١٥٠من شرح الفصيح] .

أما الزمخشري فقد ذهب إلى أن المعنى أمرناهم بالفسق ففسقوا، وأن الأمر مبني على المجاز ، ووجه المجاز عنده أنه صب عليهم النعمة صبًا، فجعلوها ذريعة

إلى المعاصي، فكأنهم مأمورون بذلك، ثم خصص الزمخشري حوالي صفحة كاملة من صفحات الكشاف للرد على من يقول : إن المعنى : أمرناهم بالطاعة ففسقوا، لأنه يؤدي إلى حذف ما لا دليل عليه [الكشاف٢/٢٤٢].

وقد علق صاحب الردّ في هامش ص١٥٠ من شرح الفصيح على هذا بقوله : ربما عدل الزمخشري عن رأيه، حيث ألف هذا الكتاب بعد كتابه الكشاف، بدليل إحالته إليه في مواطن .

وأقول : هذا الرأي ثابت في الكشاف، والكشاف للزمخشري يقينًا، أما شرح الفصيح فلم يثبت بعد أنه للزمخشري على وجه اليقين حتى يعتمد عليه في إثبات رجوعه عن هذا الرأي .

ولو سلمنا أنه رجع عن هذا الرأي لكان ينبغي أن يغيره في الكشاف، ولكان ما في الكشاف مطابقًا لما في شرح الفصيح، أو كان ينبغي أن ينبه إلى رجوعه في هذا الشرح، لأن الداعي إلى مثل هذا قوي .

إنه من العسير إن لم يكن مستحيلاً تصور رجوع الزمخشري عن هذا الرأي الذي حشد له من الأدلة في الكشاف ما يضاهي حشده لكبرى المسائل الخلافية بينه وبين المفسرين .

ومن الاختلاف في التفسير تفسير العَوْد في قصة شعيب عندما قال تعالى على لسان قومه ﴿لنخرجنك ياشعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا﴾ [٨٨ الأعراف] فقد فسرها شارح الفصيح بأن العود هنا بمعنى الابتداء والصيرورة، يقال : عاد فلان شيخًا أي صار شيخًا، ... وفي التنزيل (أولتعودن في ملتنا) وما كان شعيب كافرًا قط. [ص٦٢٤من شرح الفصيح] .

أما الزمخشري فقد فسر العود بمعنى الرجوع بعد البدء، وعلل دخول شعيب عليه السلام مع قومه في الخطاب، وبيّن أن ذلك من جهة التغليب، في كلام طويل في الكشاف [٢/٩٥-٩٦] .

ومثل ذلك كان الخلاف بينهما في تفسير الخنس، قال شارح الفصيح في ص١٦٦:

فالخنس الكواكب السبعة وهي الشمس والقمر والزهرة وعطارد والمريخ والمشتري ، وإنما سميت خنسًا لأنها تطلع في وقت ثم تتأخر في ذلك، يزعمون أن لها في نفسها سيرًا سوى سير الفلك. هذا نصه .

أما الزمخشري فقال في الكشاف٤ / ٢٢٣ :

الخنس : الرواجع، بينا ترى النجم في آخر البرج إذ كرّ راجعًا إلى أوله، والكنس : الغيّب ، من كنس الوحش إذا دخل كناسه ، قيل : هي الدراري الخمسة : بهرام، وزحل ، وعطارد ، والزهرة ، والمشتري .

ومثل هذه الاختلافات في التفسير بين الكتابين كثير، كما وجدت بعض القراءات يذكرها الشارح ولا يذكرها الزمخشري مع أن التفسير أولى بذكر القراءة من شرح الفصيح، منها على سبيل المثال قراءة طلحة بن مصرف ﴿أعجِزت أن أكون مثل هذا الغراب﴾ [٣١ المائدة] بكسر الجيم .[شرح الفصيح ٢٤].

فإذا علمنا أن الزمخشري يحيل إلى الكشاف باسمه الصريح كما بينت في الجواب الصحيح المنشور الذي لم يقرأه صاحب الرد أدركنا على وجه اليقين أن التفسير الذي أحال إليه الشارح في شرح الفصيح ليس الكشاف.

و - مسألة المصطلحات والآراء النحوية :

مصطلح القطع: ذكرت في الجواب الصحيح أن الشارح استعمل مصطلح القطع بمعنى الحال، وأن هذا المصطلح كوفي لا يعرفه إلا المتخصصون، وأن الزمخشري لم يستعمل هذا المصطلح .

فقال صاحب الرد : أقول للباحث إن مصطلح القطع معروف عند المبتدئين في تعلم العربية، ولا يجهله أحد ... فالشارح عندما عرض لهذا المصطلح بيّن الأقوال التي قيلت في قول الشاعر، وإن كنت تريد أن تقول إن هذا المصطلح لم يرد في مؤلفات الزمخشري فقولك مردود من واقع مؤلفاته. انتهى [ص١٠٤من المجلة] .

وأقول : كنت أريد أن يذكر صاحب الرد مثالاً من واقع هذا المؤلفات يبيّن أن الزمخشري استعمل مصطلح القطع بمعنى الحال، ولكنه لم يفعل، وأحالني إلى المفصل

ص ٢٣٥، ولم أجد في هذا الصفحة شيئًا عن القطع، فرجعت إلى ص٢٥٣ فوجدت الحديث عن المضارع المرفوع الواقع جوابًا للطلب، حيث قال الزمخشري: فإن لم تقصد الجزاء فرفعت كان المرفوع على أحد ثلاثة أوجه: إما صفة كقوله تعالى (فهب لي من لدنك وليا يرثُني)، أو حالا كقوله تعالى (ثم ذرهم في خوضهم يلعبون) أو قطعًا واستئنافًا كقولك لا تذهبْ به تغلبُ عليه.

وأقول للقارئ الكريم : انظر إلى هذا الخلط العجيب، أنا أتحدث عن القطع بمعنى الحال، فيحيلني صاحب الرد إلى القطع بمعنى الاستئناف ، أليس هذا أوان ضرب المثل : أريها السها وتريني القمر؟ وأين الزعم بأن هذا المصطلح يعرفه المبتدئون في تعلم العربية؟ وأين واقع مؤلفات الزمخشري التي ترد عليّ قولي؟ اللهم إني أعوذ بك أن أضلّ أو أضَلّ، فإنه لا حول لي ولا قوة إلا بك .

ومثل هذا تكرر مع مصطلح المستقبل الذي يعني به الشارح المضارع، فقد أحالني صاحب الرد إلى مواضع من المفصل استعمل فيها الزمخشري كلمة المستقبل بمعناها اللغوي.

وأما مسألة الآراء النحوية فلن أذكر منها إلا ما قد يلبس الحق بالباطل ، وما تبقى لا يخفى أمره على القارئ الملم بمبادئ النحو.

إعراب آمين .

ذكرت في الجواب الصحيح أن شارح الفصيح يرى أن آمين منادى، وآخره مفتوح لأنه في الأصل منادى مضاف، يعني أصله: آمين الخلق، الهمزة الأولى للنداء والثانية من أصل الكلمة في حال المد، وهمزة النداء محذوفة في حالة القصر، بمعنى ياآمين الخلق استجب، أما عند الزمخشري فإنه صوت سمي به الفعل استجب.

فقال صاحب الرد في رده : إن شارح الفصيح حين ذكر أن آمين في الأصل نداء ليس مراده أن يعرب، وإنما يريد بيان أطوار الكلمة، إذ هي مبنية على الفتح فقال: إن أصلها يا آمين الخلق استجب، ثم صار حذف وبقيت آمين على فتحها دالة على المعنى للنداء والفعل استجب، وهذا قول لا يعارض ما في الكشاف، وإنما زيادة في تفسير وتعرف أصل الكلمة ، فأين الاختلاف وأين التناقض وهل الزيادة تعد فرقًا شاسعًا وبرهانًا ساطعًا. تضخيم الأمور بالكلمات البراقة لا يثبت نسبة كتاب إلى مؤلفه أو ينفيه، وإنما الفيصل في ذلك إبراز الأدلة العلمية التي من خلالها نصدر الحكم. هذا نصه [ص١٠٨ من العدد المذكور].

وأقول : الفرق بين الرأيين واضح جداً، فالشارح بيّن سبب فتح النون في آمين فقال: وفتحت النون في آمين لأنه في الأصل نداء مضاف، كأنه: ياآمين الخلق استجب، أي : يا من يؤمن خلقه ، ووضح كلامه هذا فقال : فمن قصر الألف كان كقولك : زيدُ، تريد يازيدُ، ومن طوّلها أدخل همزة على همزة (آمين) وكان كقولك : أزيدُ.

فآمين عنده منادى، وهو على هذا اسم من أسماء الله عز وجل، بمعنى مؤمن ، ولكن المنادى إذا كان علمًا وجب بناؤه على الضم ، فأراد الشارح أن يتخلص من هذا الاعتراض ، فجعله منادى مضافًا حذف منه المضاف إليه ، فآمين على هذا مؤلف من كلمتين، همزة النداء والاسم المنادى .

أما الزمخشري فآمين عنده صوت سمّي به الفعل استجب، فهو كلمة واحدة، وشتان بين المنادى واسم الفعل، فالمنادى اسم له معنى نحوي هو المفعولية، أما اسم الفعل فليس محلاً لتوارد المعاني النحوية التي هي الفاعلية والمفعولية والإضافة .

فالشارح بإعرابه (آمين) بيّن معناه، وما الإعراب إلا بيان للمعنى النحوي للكلمة في التركيب.

وهذان المذهبان في إعراب آمين معروفان ذكرهما السمين الحلبي في الدر المصون ١:٧٧.

فالاختلاف شاسع واسع بين الرأيين وواضح لمن يفرق بين الظلمات والنور!

إضافة الشيء إلى نعته .

ذكر صاحب الرد أنني لم أشر في الجواب الصحيح إلى تعليقه على هذا الخلاف بين الزمخشري الذي لا يجيز هذه الإضافة وصاحب الشرح الذي يجيزها، ثم ذكر

تعليقه الذي حاول فيه الجمع بين النقيضين، فقال: لعل الشارح يعني بحسن الإضافة هنا أن ذلك حسن في الاستعمال، وإن جرى على خلاف ما يقتضيه القياس بخلاف ما ذكره في النص الآخر[يعني ما ذكره الزمخشري في المفصل] فإنه تخريج وتأويل على أصول النحو التي تمنع إضافة الشيء إلى نفسه والصفة هي الموصوف، لأنها تدل على الذات والحدث دلالة مطابقة. [ص١٠٧ من المجلة] .

وأقول: إنني لم أذكر تعليقه لأنه ليس فيه ما يفيد البحث العلمي، فالخلاف في هذه المسألة مشهور بين الكوفيين المجيزين والبصريين المانعين، والشارح يختار المذهب الكوفي بخلاف الزمخشري الذي يعد نفسًا بصرياً، فشارح الفصيح غير صاحب المفصل ولا حاجة إلى التمحل الذي ينقض آخره أوله .

تثنية ذا :

ذكرت في الجواب الصحيح أن الزمخشري نص في حواشي المفصل أن (ذان) ليس تثنية لـ(ذا) وإنما هو اسم موضوع ابتداء للمثنى المذكر، بخلاف شارح الفصيح الذي جعل (ذان) تثنية لـ(ذا)، فأتى صاحب الرد بنص للزمخشري من المفصل وهو قوله : (ذا، للمفرد المذكر، ولمثناه ذان في الرفع وذين في النصب والجر) وعلق بعد ذلك بقوله:

فما الفرق بين نص الشارح وقول الزمخشري في المفصل، وكتاب المفصل أولى بالرجوع إليه من الحواشي، وأنا على يقين أن الباحث رأى هذا في المفصل، ولكن لا أعلم ما سر هذه المغالطة، ألانه على دراية بأساليب الأقدمين، وله بها فهم خاص؟[ص١٠٥ من المجلة]

وأقول : رويدك يا أخي فإني أؤمن بالله واليوم الآخر، وأعوذ بالله أن أكتم العلم لأجل الهوى ، ولكنك لم تفهم نص الزمخشري في المفصل ، وما زال التناقض قائمًا بين نص الشارح ونص المفصل، فنص الشارح هو (ذا: اسم يشار به إلى شيء حاضر ... وتثنيته هذان) فالضمير في كلمة (تثنيته) عائد إلى اسم الإشارة ، وكأنه قال: تثنية (ذا) هذان .

أما نص الزمخشري السابق، وهو: (ذا: للمفرد المذكر، ولمثناه ذان) فإن الضمير في (لمثناه) عائد إلى المفرد المذكر، وليس عائدا إلى (ذا)، فكأنه قال: ولمثنى المفرد المذكر (ذان)، لذلك نص في حواشي المفصل على أن (ذان) ليس تثنية لـ(ذا) موضحًا ما ذكره في المفصل، فلا تناقض بين ما في المفصل، وبين ما في حواشي المفصل .

فهل علمتَ يا أخي من المغالط، ومن الذي له فهم خاص لأساليب الأقدمين ؟ .

وبقية المسائل النحوية على هذه الشاكلة، فلم يدرك صاحب الرد الفرق بين رأي الزمخشري ورأي صاحب شرح الفصيح في تصغير غلمان، والفرق بينهما أن الزمخشري يرى أن تصغيره القياسي غليمة، أما أغيلمة فهو عنده شاذ عن القياس كأنيسيان، لأنه لا يثبت أغلمة جمع قلة لغلام، أما صاحب الشرح فيرى أن أغيلمة قياسي، لأنه يثبت أغلمة جمع قلة لغلام. وعلى هذا يقاس عدم إدراك صاحب الرد لبقية الفروق بين آراء الزمخشري وآراء صاحب الشرح .

ز - مسألة الموازنة بين البغدادي واللبلي :

ذكرت في الجواب الصحيح أن البغدادي مقدم على اللبلي في توثيق النصوص لأننا نعرف مدى عناية البغدادي باقتناء النسخ البعيدة عن الزيف ، ومدى تحقيقه لنسبة الشواهد، وعنايته بالتراجم، بخلاف اللبلي الذي لا نعلم عنه في هذا الجانب شيئًا .

فقال صاحب الرد: أما قولك إن البغدادي من علماء التراجم ، ولم نسمع أن اللبلي كان معنياً بالتراجم فهذا قولك أنت، أما المحقق فمعرفته بالبغدادي أنه عالم لغوي نحوي أديب وكذلك الشأن بالنسبة للبلي. [ص١١٨ من العدد المذكور] .

وأقول للقارئ الكريم: أليس من الغريب أن يجهل عنايةَ البغدادي بالتراجم باحثٌ حقق شرح الفصيح؟ إن الخزانة وشرح أبيات المغني وشرح شواهد الشافية مليئة بتراجم الشعراء ورجالات العرب وأخبارهم، وحاشية البغدادي على شرح بانت سعاد مليئة بتراجم النحويين،

واللبلي من بين من ترجم لهم البغدادي في هذه الحاشية ج٤٦٩/١.

ح – مسألة نقل البغدادي واللبلي من شرح الفصيح:

ذكر صاحب الرد في دراسته لشرح الفصيح أن البغدادي نقل نصين من شرح الفصيح ونسب الشرح للإستراباذي، أما اللبلي فقد نقل في القسم الموجود من تحفة المجد الصريح أكثر من ثلاثة وسبعين نصاً ونسب الشرح للزمخشري، وجعل صاحب الرد هذا الأمر من الأمور التي ترجح كون الكتاب للزمخشري، فقلت ناقلاً دليله بالمعنى : (ولأن اللبلي نقل من هذا الشرح نصوصاً أكثر من البغدادي) فعلق صاحب الرد بقوله: فقول الباحث: إن اللبلي نقل نصوصاً أكثر من البغدادي يوحي بأن البغدادي نقل نصوصاً كثيرة ، وما هو إلا عبارة عن نصين فقط.[ص١١٦ من العدد المذكور] .

وأقول : لا عبرة بكثرة النصوص ها هنا، مع أننا لا نستطيع الجزم بأن البغدادي لم ينقل غير نصين، لأن هذين النصين وصل إليهما صاحب الرد عن طريق فهرس الكتب في آخر شرح أبيات المغني وحاشيته على شرح بانت سعاد، وإصدار حكم صحيح يحتاج إلى قراءة كل كتب البغدادي وهو أمر عسير، وقد وجدت عن طريق تتبع فهرس الأعلام وفهرس الكتب نصين آخرين في حاشية شرح بانت سعاد:

الأول في (ج٦٧٧/٢): قال البغدادي : قال ثعلب في فصيحه : ولهيت من الشيء وعنه إذا تركته ويقال: إذا استأثر الله بشيء فاله عنه، أي : اتركه .

قال شارحه الإستراباذي: لهيت من الشيء وعن الشيء ألهي لُهيًا ولَهيا ولِهيا ولِهيانًا، ذكرها أبو عمر الزاهد. قال الكسائي لهوت بالشيء من الشيء ، ولهيت عن الشيء، والأصل فيهما واحد بالواو، ولكن فرق بينهما، قال الخليل : اللهو ما شغلك من هوى وطرب، يقال لها يلهو لهواً، والتهى بامرأة فهي لهوة . انتهى .

وهذا النص موجود في شرح الفصيح٢٣٨/١-٢٣٩.

وقد أغفل البغدادي نقل معنى ألهى ولهًى ، ومعنى اللهو في القرآن .

والثاني في (ج٨٨/٣) عن قول ثعلب (وهي الحلقة من الناس والحديد بسكون اللام)

قال البغدادي: قال شارحه الإستراباذي: وروى اللحياني عن الأموي: حِلقة، بكسر الحاء وسكون اللام، وهذا أغرب الوجوه، والفصيح ما ذكره ثعلب.

وحلقة الناس مستعارة من حلقة الحديد وكذلك حلقة الحوض، وهو أن يكون ماؤه فوق النصف، والجمع حلَق، كما تقول : فلكة وفلك، ولست أعرف لها ثالثًا.

وهذا النص موجود في شرح الفصيح ٦٦٤/٢، وفيه : (والفصيح حلْقة الحديد وحلْقة الناس) بدل (والفصيح ما ذكره ثعلب) .

ط – مسألة تعيين أبي علي المذكور في الشرح :

بينت في الجواب الصحيح أن أبا علي المذكور في الشرح هو المؤلف نفسه لأنه يروي مباشرة عمن يروي عنهم المؤلف مباشرة، وكان صاحب الرد في تحقيقه يجعل أبا علي هذا المرزوقي مرة، والقالي مرة، والفارسي مرة ، والنيسابوري مرات أخر، فقلت: لا يعقل أبداً ولا يصح في منطق أن يطلق الشارح هذه الكنية في كل مرة على شخص غير الذي ذكره في المرات الأخر.

فقال صاحب الرد: وما الذي يمنع من ذلك وأين الدليل الذي أوردته ينقض ما ذكره المحقق؟[ص١١٩من العدد المذكور] .

وأقول : المانع من ذلك هو المانع من أن نسوّي بين الظلمات والنور، وبين الظل والحرور وبين الأعمى والبصير. أعني أن الدليل بدهي ضروري :

وليس يصح في الأذهان شيء
إذا احتاج النهار إلى دليـــل

٢ – دفع تهمة التقول والمغالطة والتلفيق :

أ – ما جاء في مسألة كنية الشارح :

ذكرت في الجواب الصحيح أن كنية الشارح (أبوعلي) لأنه يروي عن ابن مهدي والعسكري في مواضع فيقول: أنشدني أو أخبرني أو سمعت علي بن مهدي أو العسكري .. دون أن يذكر كنيته ويذكر كنيته في مواضع

فيقول: قال أبو علي: أنشدني أو سمعت ابن مهدي أو العسكري، فدل ذلك أن المؤلف هو أبو علي، وقلت: ولا يلتفت إلى ما ذكره المحقق من أنه لا يصح أن تكون كنيته أباعلي لأنه قال مرة: قال أبو علي رحمه الله، لأن الدعاء للمؤلف قد يكون من قبل التلامذة أو الناسخين .

فعلق صاحب الرد بقوله : أما قول الدكتور بأن المحقق أنكر أن تكون هذه كنية لأبي علي فهذا كلام واهٍ لا أساس له، إذ إن المحقق لم ينكر هذه الكنية، وإنما أراد الباحث أن يلفق الكلام ويلقي به جزافًا، فلماذا لم يشر الباحث إلى موضع إنكاري لهذه الكنية في مقالته ؟ لأنه أتى بهذا الكلام من عنده. [ص١٠٣ من المجلة] .

وأقول لصاحب الرد: أنكرتَ ذلك في ص٤٨ من قسم الدراسة في ردك على علي مشري الذي نسب الشرح لأبي علي الأهوازي، وقلتَ نصاً :

(لا أريد أن أطيل في الرد على هذه النسبة التي لم يرد في أثنائها دليل علمي واضح وإنما هو ظن من الباحث كما ذكر، ولعل سبب ظنه قول أبي علي ست مرات في كتابه، وفي آخر موضع قال : "قال أبوعلي رحمه الله" فهل يعقل أن يقول المؤلف عن نفسه هذا؟!) .

وأقول لصاحب الرد: أليس هذا الاستفهام إنكارياً؟ وإذا لم تجد بداً من أن تقر بهذا، ألا يكون غريبًا أن تجهل أو تنسى أين ذكرتَ ذلك ؟ وإذا كان الأمر على ما ذكرتُ أليس من الظلم أن تتهمني بتلفيق الكلام والافتراء؟ اتق الله يا أخي ولا ترم أخاك ببهتان .

ب - ما جاء في مسألة كتب الشارح :

قلت في الجواب الصحيح : أحال الشارح إلى بعض كتبه فذكر أسماء بعضها ولم يذكر أسماء بعضها وإنما ذكر العلم الذي ألف فيه كإحالته إلى كتابه في التفسير وكتابه في الأمثال، فمما نص على اسمه كتاب (تهذيب غريب الحديث)..ونصَّ أيضًا على أن له كتابًا اسمه المثلث.

فعلق صاحب الرد قائلا:(الشارح ذكر أربعة من مؤلفاته ... ولكن الجديد الذي لم أطلع عليه هو قولك : ولم يذكر أسماء بعضها ، ما الذي جعلك تقول ذلك ؟ هل وقفت على نص له وضح فيه أنه لم يذكر بعض أسماء كتبه؟ أم أن هذه زيادة من عندك كعادتك) [ص١٠٣ من العدد المذكور].

أقول : استنتجت ذلك من إحالات الشارح ، فهو يقول : (وقد بيّنا في تفسير القرآن معنى أمين أشبع من هذا) [ص٦٤٩] ويقول : (وقد ألفنا في الأمثال كتابًا بينا فيه معنى المثل...) [ص٦١٥] فعلمت من هذين النصين أن له تفسيرًا وكتابًا في الأمثال، ولكن ليس في النصين تسمية لهذين الكتابين ، أما عندما قال : (وقد بينا معناه في تهذيب غريب الحديث) [ص-٣٤٠] علمتُ أن اسم كتابه (تهذيب غريب الحديث) ولو لم يسمه لقال : في كتابنا في غريب الحديث .

وأقول بعد هذا : هل أتيت بزيادة من عندي؟ ومرة أخرى أقول لصاحب الرد اتق الله ولا ترم مناظرك بالافتراء بلا بيّنة .

ج - ما جاء في مسألة نسبة الشرح إلى الإسترابادي :

ذكر صاحب الرد في المبحث الذي خصصه عن شرح الفصيح للإسترابادي من دراسته ست نقاط جعلها بمثابة أسباب أو أدلة لتوهين نسبة الكتاب للإسترابادي، فذكرتُ خلاصة هذه النقاط بقولي في الجواب الصحيح:(لكن المحقق أعرض عن نسبة هذا الشرح للإسترابادي، لأنه وجد صاحب كشف الظنون يقول إن وفاته كانت سنة٧١٧هـ، مع أن ترجمته موجودة في معجم ياقوت، ولأنه وجد أن ياقوتًا لم يذكر كتبه الأخرى وهي تهذيب غريب الحديث وتفسير القرآن، ولأن اللبلي نقل من هذا الشرح نصوصًا أكثر من البغدادي، واللبلي قريب من عصر الزمخشري، ولأنه ربما يكون الزمخشري نقل من شرح الإسترابادي فتطابق نقل البغدادي مع نقل الزمخشري، ولأنه ربما يكون كتب على الورقة الأولى من النسخة التي كانت بين يدي البغدادي خطأ)[يوازن بين هذا وما ذكر في ص٥٢-٥٣من قسم الدراسة في شرح الفصيح] .

فعلق صاحب الرد على هذه الخلاصة بقوله :

(أود أن أتوقف عند تعليل الباحث لأبين للقارئ دعواه الباطلة، ماذا قال المحقق[يعني صاحب الرد] في هذه النقطة : "فلعل الإستراباذي من علماء القرن الخامس الهجري وليس الثامن، كما رجحه فؤاد سزكين إذ ذهب إلى أنه توفي قبل سنة خمس وستين وأربعمائة" فكيف يقول الباحث إنني أعرضت عن نسبته إلى الإستراباذي لأن صاحب كشف الظنون يقول إن وفاته سنة٧١٧هـ؟) هذا نصه.[ص١١٦من العدد المذكور] .

وأقول : لقد جعل صاحب الرد عدم تحديد كتب التراجم لوفاة الإستراباذي أول سبب من الأسباب الستة التي صرفته عن نسبة الشرح للإستراباذي كما في ص٥٢.

ثم قال صاحب الرد في رده: فمن قال: إنني أعرضت عن نسبته إلى الإستراباذي ؟ .

وأقول : الذي قال لي هو العنوان العريض على غلاف الكتاب الذي يوهم أن نسبة الشرح للزمخشري أمر مقطوع به، أليس فيه دليل على الإعراض عن نسبة الشرح للإستراباذي، أما كان المنهج العلمي يتطلب أن يكون العنوان بشكل يشعر القارئ أن الكتاب لم تثبت نسبته ؟ .

ثم قال صاحب الرد تعليقًا على قولي:(ولأنه وجد أن ياقوتًا لم يذكر كتبه الأخرى وهي تهذيب غريب الحديث وتفسير القرآن) قال: وأريد أن أسأل الباحث من أين جئت بهذا القول، كان عليك أن تنقل النص كما هو دون تحريف ليقف القارئ على الحقيقة لا أن تتصرف فيه بما يخل فأنا لم أذكر أن ياقوتًا لم يذكر للإستراباذي هذه الكتب وإنما قلت: لم تذكر كتب التراجم أن الإستراباذي ألف في غريب الحديث والتفسير والأمثال....[ص١١٦من العدد المذكور].

وأقول : التحريف المزعوم أنني ذكرت اسم ياقوت بدل كتب التراجم، هذا هو التحريف الذي غضب له صاحب الرد، فإذا علم القارئ الكريم أنه لم يترجم للإستراباذي غير ياقوت وأن الذين أتوا بعده نقلوا عنه ولم يزيدوا حرفًا أدرك من أين جئت بما ذكرت، وعرف ما وراء اعتراض صاحب الرد .

وقريب من هذا ما قاله تعليقًا على قولي في الجواب الصحيح: (ويقول المحقق إن من الأدلة التي تدفع كون الشرح للإستراباذي عدم ذكر كتب التراجم أن الإستراباذي أخذ عن الشيوخ الذين ذكرهم الشارح) .

قال صاحب الرد: (ويستمر الباحث في مغالطاته وتلاعبه بالنصوص الواردة في أثناء هذه النسبة فالنص الذي ذكره نص خاطئ لا أساس له من الصحة إلا إذا كان الباحث يجهل دلالات النصوص ، فأنا لم أقل إن من الأدلة التي تدفع كون هذا الشرح للإستراباذي، وإنما هذه العبارة من عند الباحث جاء بها ليوهم بها القارئ بصدق ما ذهب إليه، والنص الذي أوردته كالتالي: "لم تذكر كتب التراجم أن الأعلام الذين وردوا في هذا الشرح من بين من تلمذ عليهم الإستراباذي أو روى عنهم" فمن أين جاء الباحث بالزيادة المنسوبة إلى المحقق فالأمانة العلمية تقتضي نقل النصوص كما هي دونما عبث بها ..) [١١٧-١١٨من العدد المذكور] .

وأقول : لقد جعل صاحب الرد هذا النص الذي ذكره النقطة الثالثة من النقاط الست التي اعتمد عليها في توهين نسبة الشرح للإستراباذي[ص٥٢من قسم الدراسة]، فهو دليل بلسان الحال وإن لم ينص عليه بلسان المقال، وأنا لم أزعم أن ماذكرته منقول بالنص، وإنما هو منقول بالمعنى، وهذا واضح بإذن الله، وأترك القارئ مرة أخرى ليوازن حجم هذه المهاترة بحجم التلاعب المزعوم بالنصوص .

وكنت ذكرت في الجواب الصحيح أن تفضيل المحقق توثيق اللبلي على توثيق البغدادي لا وجه له، فقال صاحب الرد:

ولا أعلم أيضًا من أين جاء الباحث بهذا النص .

وأقول : أليس في إثبات نسبة الكتاب للزمخشري على غلاف الكتاب ، والترجمة للزمخشري في الدراسة وكأنه المؤلف الحقيقي للكتاب أليس في ذلك تفضيل لتوثيق اللبلي الذي نسب الكتاب للزمخشري على توثيق البغدادي الذي نسب الكتاب للإستراباذي ؟ .

٣ - دفع تهمة عدم تقدير العلماء القدماء .

ذكرت في الجواب الصحيح أن اللبلي أخطأ في نسبة هذا الشرح للزمخشري ووهم ولم يحقق النسبة ، فقال

صاحب الرد بالنص في الملحوظة الرابعة من نقده المجمل: (التعامل أثناء الرد مع علمائنا القدماء بما يليق بهم ، فهم من خدم التراث العربي ، أما أن يسمهم الدكتور بالخطأ والوهم تارة وأخرى بالخلط فهذا ما يجب الترفع عنه.) [ص١٠٠من العدد المذكور] .

وأقول : أعرف بحمد الله قدر علمائنا رحمهم الله تعالى وجزاهم عنا خيراً ، ولكني لا أقدسهم ولا أنزّههم عن الوقوع في الخطأ، فإذا كان اللبلي قد نسب هذا الشرح للزمخشري على وجه اليقين فهو مخطئ، ونلتمس له العذر بأنه ربما وصلته مخطوطة من هذا الشرح وقد تلاعب باسم المؤلف عابث لغرض ما، ولم يتنبه إلى روايات الشارح عن شيوخه لأنه لم يكن على علم بتراجمهم، وثمّ احتمال آخر وهو أن يكون اللبلي قد نسب الشرح إلى (الإستري) وهي النسبة القياسية إلى (إستراباذ) فتحرفت الكلمة على أيدي النساخ إلى الزمخشري، وهذا عندي احتمال قوي.

وأضيف إلى علم صاحب الرد أنني خطّأت السيوطي أيضًا في ترجمة علي بن مهدي الكسروي ، لأنه ذكر في ترجمته أنه توفي في خلافة المعتضد يعني أنه توفي بحدود ٢٨٥هـ ثم ذكر أنه أخذ عن أبي الحسن الأشعري المتوفى سنة ٣٢٤هـ.

فهل أغمض عيني عن هذا الخطأ الواضح ولا أنسب الخطأ إلى السيوطي ؟ أم أنبه إليه حتى لا يأخذه على علاته أمثال صاحب الرد.

الخاتمة :

وأختم هذه التكملة والتبرئة بمسائل متفرقة تدل على أن صاحب شرح الفصيح لا يمكن أن يكون الزمخشري:

١ – توجيه بيت الفرزدق :

وعض زمان يا بن مروان لم يَدَعْ

من المال إلا مسحتا أو مجلف

قال شارح الفصيح :

ويروى: لم يَدَعْ، من الدعة، من المال إلا مسحتٌ، مرفوع.

واختلف النحويون في قوله:مجلفُ، فلحّنه بعضهم، وقال آخرون: أراد الوقف، فلهذا لم يبيّن نصبه، وقال بعضهم : أراد: وما هو مجلف، فلهذا رفع.[ص٤٩] .

وقال الزمخشري في الكشاف ٣٨١/١ في تعليل قراءة الرفع في قوله تعالى : ﴿فشربوا منه إلا قليل منهم﴾ : هذا من ميلهم مع المعنى، والإعراض عن اللفظ جانبًا، وهو باب جليل من علم العربية، فلما كان معنى (فشربوا منه) في معنى (فلم يطيعوه) حمل عليه، كأنه قيل: فلم يطيعوه إلا قليل منهم، ونحوه قول الفرزدق: لم يدع من المال إلا مسحتٌ أو مجلفُ .

كأنه قال : لم يبق من المال إلا مسحت أو مجلف.

فصاحب الشرح وجّه رواية الرفع في (مسحت أو مجلف) بأن (يدع) من الدعة، وهي الثبات والسكون أي: لم يثبت من المال إلا مسحت، أما الزمخشري فوجّهه على أن (يدع) بمعنى (يترك)، ولكن لما كان معنى (لم يترك من المال) قريبًا من معنى (لم يَبقَ من المال) حمل (مسحت) على هذا الأخير ولم يحمل على (يدع) المذكور في اللفظ.

٢ – معاني الهلال :

ذكر صاحب شرح الفصيح للهلال معاني كثيرة غير هلال السماء، فالهلال يأتي بمعنى قطعة من حجر الرحى، وبمعنى إطار الظفر، وبمعنى شبه منجل يصاد به الوحش، وبمعنى الجمل النحيف، وبمعنى نصل له قرنان، وبمعنى ضرب من الحيات ، وبمعنى بقية الماء في الحوض، والهلال اسم لقبيلة حميد بن ثور الهلالي.[ص١٢٥] .

أما الزمخشري فلم يذكر من هذه المعاني في أساس البلاغة غير معنى بقية الماء ، وأنه يعني حية ذكر.

وليوازن القارئ بين مادة (نسب) أو(شبب) أو (لحم) في كل من شرح الفصيح وأساس البلاغة ليدرك الفرق الكبير بينهما.

٣ – الخلاف في فهم قول أبي الطمحان :

وإني لأرجو ملحها في بطونكم

وما بسطت من جلد أشعث أغبرا

قال شارح الفصيح : والملح أيضًا الرضاع ، وقوله بالملح الذي بيننا ، وبيني وبينه ممالحة ، أي : مراضعة ، ولا ينظر إلى قصد العجم فيه ، فإنه غلط منهم ، قال

الشاعر: وإني لأرجو ملحها ... يخاطب قومًا أضافهم وسقاهم لبن إبله ، فعمدوا إليها واستاقوها ، يستعطفهم بهذا[ص٢٠٤].

قال الزمخشري في أساس البلاغة (ملح) : ومالحت فلانًا ممالحة وهي المواكلة وهو يحفظ حرمة الملح والممالحة ، وهي المراضعة ، قال أبو الطمحان : وإني لأرجو ملحها ... حالف رجلاً كان له عشرة بنين ، فما زال يسقيهم ألبان إبله حتى سمنوا وصلحوا ، فأغاروا عليه ، أراد بالملح اللبن ، أي : أرجو أن ينتقم الله منكم لما صنعته عندكم .

فشارح الفصيح يرى أن الشاعر يستعطفهم ، والزمخشري يرى أنه يدعو عليهم .

٤ – معنى الراوية :

قال صاحب شرح الفصيح : فالراوية : الكثير الرواية للأشعار والأخبار، فإذا لم يكن راوية لذلك قلت: راو، وقال بعضهم : إنما قيل له راوية تشبيهًا براوية الماء، ومن قول عمر رضى الله عنه في ابن مسعود : كنيف ملئ علمًا، وما أرى هذا القول إلا تعسفًا.[ص٦٠١] .

وقال الزمخشري في أساس البلاغة (روي) : وإن فلانًا لراوية الديات، حاملها ... ، ومنه قولهم: هو راوية للحديث ، وروى الحديث : حمله ، من قولهم : البعير يروي الماء ، وحديث مروي ، وهم رواة الأحاديث وراووها : حاملوها ، كما يقال : رواة الماء .

فالزمخشري يرى أن راوية الحديث ، مأخوذ من راوية الماء ، لأنه حامل للحديث كما أن راوية الماء وهو البعير الذي يستقى عليه يحمل الماء ، وشارح الفصيح يجعل مثل هذا تعسفًا .

٥ – مذهب الشارح :

ذكر صاحب الرد في دراسته للكتاب (ص٨٣ – ٨٤) أن الشارح معتزلي ، وأدلته باختصار أن الشارح أنكر أن يكون الله ذا نفس، وأنه أوّل الإصبع بالنعمة في حديث (إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن، كقلب واحد يصرفه حيث شاء) وأطلق اسم الحشوية على الذين أثبتوا صفة الأصابع دون تأويل، كما أن الشارح ذكر أن القدرية صفة ذم كل يتبرأ منها.

وأقول : كل هذه الأمور لا تدل على أن الشارح معتزلي، لأن الأشاعرة أيضًا يؤوّلون الصفات الخبرية، ويطلقون على مثبتيها دون تأويل اسم الحشوية، ما عدا إمامهم أبا الحسن الأشعري ، وبعض تلامذته ، وهذا معلوم لكل من له إلمام بالملل والنحل .

والفرق واضح بين الزمخشري وشارح الفصيح عند ذكر الذين يخالفون المعتزلة ، فالزمخشري يصفهم بأبشع النعوت في أغلب المواضع التي يذكرهم، كقوله مثلا في الكشاف٢ / ٣١٧ : (كما ركز في الطباع أن لا أدخل في الشر من الشياطين ، ولا أجمع للخير من الملائكة ، إلا ما عليه الفئة الخاسئة المجبرة من تفضيل الإنسان على الملك، وما هو إلا من تعكيسهم للحقائق وجحودهم للعلوم الضرورية).

أما شارح الفصيح فكلامه عن الجبرية كلام علمي لا انفعال فيه، فهو يعرفهم فيقول : (والجبرية هم الذين يقولون لا فعل للعبد على الحقيقة ، وإنما يفعل الله فيه الأفعال المنسوبة إليه جبرًا كما يفعل في الجماد الحركة والسكون) [ص٣٩٤] .

وقال في موضع آخر: (والمرجئة قوم مذهبهم الإرجاء وهم يقولون في أصحاب الكبائر يؤخَّر أمرُهم إلى الله، ولا يُحكَم بأنهم من أصحاب النار، فلهذا سميت مرجئة، ولا ينكرون الإرجاء كما ينكر القدري القدر، والرافضي الرفض، والناصبي النصب) [ص٢٥٠–٢٥١] .

فأن يقول مثل هذا الكلام أشعري أرجح من أن يقوله معتزلي متعصب كالزمخشري .

وبعدُ ؛ فإني أحمد الله عز وجل وأصلي وأسلم على رسوله الأمين وآله وصحبه أجمعين، وأدعوه سبحانه أن يجعل فيما استخرته فيه واستمددت منه العون لإنجازه وإتمامه الخير كل الخير .